الفصل الثاني

الفتوحات المكية
في مبناها ومعناها

أولاً : الطبيعة العنوانية .

ثانيًا : الوصف الوراقي .

ثالثًا : البنية الموضوعية .

رابعًا : الظواهر الفكرية والعَقَدية .

خامسًا : الأسس الإبداعية .

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً : الطبيعة العنوانية :

اختار « ابن عربى » لتصنيفه بنيةً عنوانيةً جامعة هى « الفتوحات المكية فى معرفة الأسرار المالكية والمُلْكية » ، وقد أَلَّفَ فيها بين رؤيته الإلهامية الكَشْفية وجوهر مذهبه العرفانى فى الصلة بين جوانية الحقيقة وبرانية الشريعة . فهو يرى فى الوَضْعية العنوانية مرآة صافية لحمل ماتبوح به الذات وما تقوم على رَصْد حقائقه الصفات .

١ – فى ماهية الفتح :

يشير الاستقراء الدلالى لماهية « الفتح » عند « الحاتمى » إلى تمكنه من نظم أنساقه البيانية الثلاثة : الاشتقاقية والقرآنية والاصطلاحية ، فى عِقْدٍ فريد ، يستغرق فيه الإعراب عن واسطته وطرفيه .

فالعطاء المعجمى يَدَلُّ باللفظ على وجهين : أحدهما حسى ، يدور حول : حَلّ المُشْكل ، وبدء الشىء ، وتغيُّره وسَعَته ، وكذلك فى العبارة عن « النكاح »[1] . والآخر معنوى ، يُعطى من الصور الدلالية ما يبين عن : الإجابة ، والنصر ، والحكم والقضاء[2] .

أما فى التصوير القرآنى ، فاللفظ من مشكله وغريبه ، وقد تعينت مظاهره فى ثلاثة : فتح حسى ، وآخر معنوى ، ثم فتح ربانى[3] . وأما فى التراث الاصطلاحى ، فيبرز من أشكاله التعبيرية ، ما يقوم على الفتح الحضارى ، وما يستكنه الفتح الإبداعى . فالأول قد عرف عند أهل التأريخ ، حين صُنِّفتَ أسفارٌ فى فتوح البلدان ، وأخبار المغازى وأنباء الملاحم ، وأخرج لنا معجمًا تاريخيًا ، يحمل من السمات الوضَعْية والخصائص الزمانية والمكانية ، ما يرصد صورة العصر الذاتية والجمعية . أما الآخر الذى أظهره الحكيم الصوفى ، فغدا قوت قلبه ، وعمدة وجوده الجوانى ، وقد ذهب العارف إلى وطن فتحه يصفه ويُقنن أصوله ويُصنف منازله وأنواعه .

ومن أوجه التنظير الصوفى للفتح الإبداعى ، ذِكْرُ أصوله الثلاثة : الذاتية ، والزمانية والمكانية ، وكذلك تصنيف أنواعه فى ثلاثة : فتوح عبادة فى الظاهر ، وفتوح حلاوة فى

---

(١) ابن منظور . اللسان : (فَتح) .
(٢) ابن سيده . المُخَصص : س ١٧ ، ص ١٥٥ .
(٣) الراغب . المفردات : (فَتح) .

الباطن ، وفتوح مكاشفة[1] ؛ وأهل هذا الفتح من السالكين يجعلون منازله فى طبقات ثلاث : فتح قريب ، ومبين ، ثم مُطلق[2] .

٢ – فى الطبيعة المكية :

وقد اكتسبت الطبيعة المكية شرفَ منزلتها من بيت الله العتيق ، أول قبلة وضع الحق أسرار عُبودته فيها ، فأورث أهلها خلاص النفس وتقواها .

وانناظر فى نقطة الدائرة المكية ، يستبصر أمورًا منها ما يتصل بدلالة اللفظ ، وما يرتبط بأثرها التراثى ، وما يصور شهود الصوفى لحقيقتها .

فهى فى بِنْيَتِها اللِّسانية لا تفارق ما يثيره الإخراج التطهيرى من دلالات حسية ومعنوية[3] وهى فى أطوارها التاريخية رامزة إلى بؤرة المعرفة الإلهامية وأسرار الفتوحات الربانية ؛ ومن ذلك ماتوحيه حكمة التعليق والتذهيب فى تراثنا الشعرى ، وما يستبطنه الفتح البوى من عزيز الإشارة وجوامع الكَلِم ، حتى أصبحت الرحلة المكية إقليدًا فَتحيًا يطلبه أهل العلم على اختلاف مشاربهم[4].

وعند أهل الذوق من العارفين اخْتُصَّ الفتح المكى بخصائص وجودية وإشراقية ، منها : الإرثية ، والأوَّلية ، والإبداعية الكُنِّية .

فمكة تُورث من قَصدَها الفتح فى العلم الإلهى ، الذى تُعطيه المشاهدة »[5] والحق تعالى يتجلى لأَهِلَّةِ أهلها فى اسمه الأول »[6] ؛ ولذا « شُرِعَ الدخول إلى مكة من كَدَاء – بفتح الكاف – للفتح الإلهى ، فى كاف التكوين ، من قوله تعالى ﴿كُن﴾[7] .

٣ – فى معرفة الأسرار المالكية والمُلْكية :

(أ) ماهية السر فى الفكر الصوفى :

إذا كان اللفظ قد حَفِظَ لذاته الدلالة على الستر والخفاء والغيبة . فقد صَيَّره الصوفى

---

(١) ابن عربى . شرح الألفاظ – مخ – ض ، مج/ ٩ ، (الفُتوح) .
(٢) القاشانى . اصطلاحات الصوفية : ص ١٣٥ – ١٣٦ .
(٣) الراغب . المصدر السابق : (مَكَكَ) .
(٤) السخاوى . الإعلان بالتوبيخ : ص ١٣٦ .
(٥) ابن عربى . الفتوحات : س ١١ ، ص ٢١٠ ، ١٣٥ .
(٦) ابن عربى . المصدر نفسه : س ١١ ، ص ٢١٠ ، ١٣٥ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ١١ ؛ ص ١٣٥ .

لَطِيفةٌ مودعة « فى القلب ، كالروح فى البدن ، وهو محل المشاهدة ، كما أن الروح محل المحبة ، والقلب محل المعرفة »[1] .

« وقد غَيَّبه الحق ، ولم يُشرف عليه الخَلْق ، فهو « خَفاء » بين العدم ، والوجود موجود فى معناه »[2] ، ليقوم على « إخفاء حال المحبة »[3] .

وهو يُعرف بمظاهر وجوده ، كالعلم والحال والحقيقة . فيقال :

« سِرُّ العِلْم : بإزاء حقيقة العَالِم به » .

« وسر الحَال : بإزاء معرفة مراد الله فيه » .

« وسر الحقيقة : بازاءِ ما تقع به الإشارة »[4] .

« أما سِرُّ السر : فهو « ما أُفردَ به الحق عن العبد »[5] فلا « يُحِسُّ به السر »[6] .

(ب) المالكية والمُلكية
من الوجهة الاصطلاحية :

يذهب أهل المعرفة بلغات العرب إلى « أن المُلْكَ من المِلْكِ مشتق ، وأن المَالِكَ من « المُلْكَ » مأخوذ »[7] وهذه البنية الاشتقاقية تشير إلى ما يكنه اللفظ من دلائل العزة والعظمة والسلطان والقهر فى كليهما[8] .

وفى الاصطلاح الصوفى يقف أهله عند عالمى المُلْك والمَلَكُوت ، ليمثل المُلْكُ « عالم الشهادة : من المحسوسات الطبيعية ، كالعرش والكرسى ، وكل جسم يتميز بتصرف الخيال » . أما الملكوت فله « عالم الغَيب : المُختص بالأرواح والنفوس »[9] .

---

(١) الجرجانى . التعريفات : (السِّر) .
(٢) الطوسى . اللمع : ص ٤٣٠ .
(٣) الهجويرى . كشف المحجوب : جـ ٢ ، ص ٦٢٩ .
(٤) ابن عربى . شرح الألفاظ : (السر) .
(٥) ابن عربى . المصدر نفسه : (سر السر) .
(٦) الطوسى . المصدر السابق : ص ٤٣٠ .
(٧) الطبرى . التفسير : جـ ١ ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .
(٨) الفيروزابادى . القاموس : (مَلَكَ) .
(٩) الجرجانى . المصدر السابق (ب . الميم) : المُلْك ، الملكوت .

وهذه الرؤية العرفانية صادرة عن فلسفة وجودية[1] ، تبغي توحد العارف بمعرفته ، وهو يقابل بين العالم الإنسانى والكونى . فـ« كما أن فى العالم من يَظْهر للأبصار ومن يخفى ، ففى الإنسان ظاهر وباطن ، عالم الحس وعالم القلب ، فظاهره مُلك وباطنه ملكوت »[2]

وقد اسْتُرِقَّ عالم الحس فدخل « تحت ذُل الحَصْر »[3] ، فهو مقهور بعلائق مادته وعنصره ؛ أما العالم الملكوتى فخارج عن تلك الحدود ، مفارق لها ، ذلك أن « المُحدث إذا قورن بالقديم ، لم يبق له أثر . وشتان بين من يَنْطِق عن دَرْسِه ونَفْسِه ، وبين من ينطق عن ربه ، « وما ينطق عن الهوى » . فإياك وطلب الدليل من خارج ، فتفتقر إلى المعارج ، واطلبه من ذَاتِك لذاتك ، تجد الحق فى ذاتك »[4] .

وفى أبواب الفتوحات ما يُسفر عن الطبيعة الإبداعية لصاحبها ومصادرها الإلهامية والإشراقية . فقد وصف الشيخ لنا صلته بـ « روح إلهامه »[5] ، وأطلعنا على « مقام ولايته الملكية وأسراره »[6] ، وأحكم النظر « فى معرفة السر وأسراره »[7] ، ووقف عند « باب معرفة الفتوح وأسراره »[8] .

٤ – وحدة الوجود الدلالى فى الفتح المكى :

بَدَّدَ « ابن عربى » نظريته الإشراقية بين أسفار فتوحه ، مثلما آثر نثر طوالع نجومه العقَدية والمذهبية ، فالصيد عنده لا يعرف إلا فى استبطانه لأغوار جوانيته ، وقد يُجاور بين الرؤية الظاهرية والرؤيا الباطنية ، وهو إلى تقية حجبه ، وستر غيبه أَمْيَل ، فالبوح عند الصوفى معلق بأمر إلهى ، يتمثل فى « صدق الخاطر الربانى »[9] .

وقد جمع « ابن عربى » أنساق البناء الدلالى لمصادر فتوحه ، وأقام توحدًا وجوديًا بينها

---

(١) (أ) ابن عربى . الاصطلاحات (ذيل التعريفات) : ص ٢٩٦ .
(ب) الجيلى . شرح المشكلات : مخ – رفاعة ؛ ١٧/ تصوف ؛ و٣٣أ ، ٣٤أ .
(جـ) السهروردى . شرح مقامات الصوفية : م . معهد المخطوطات ؛ مج ٨ ، ج١ ؛ ص ١٨٢ .
(د) القاشانى . المصدر السابق : ص ٨٨ – ٨٩ .
(٢) ابن عربى . التدبيرات الإلهية : ص ١٠٩ .
(٣) ابن عربى . المصدر نفسه : ص ١٠٩ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : ص ١١٤ .
(٥) ابن عربى . الفتوحات : س ١ ؛ ص ٢١٥ – ٢٣٠ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ؛ ب ١٥٤ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ؛ ص ١٩٩ .
(٨) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ؛ ص ٢١٦ .
(٩) ابن عربى . رسالة التصانيف : م . كلية الآداب – الإسكندرية : مج ٨ ؛ ص ١٩٤ .

مما يجعلنا نقف على مظاهر ثقافية شتى لتلك الشخصية الإبداعية فى معرفتها اللغوية والشرعية والفلسفية وغيرها .

فالدلالات الحسية للفتح عنده تتلاحم بما جاورها من إشارات معنوية وفكرية . وقد يأخذ طرفًا منها ، فيبدع حوله تنظيرًا جماليًا ونفسيا ، على شاكلة ما صنعه فى أسرار « النكاح المعنوى والخيالى »[1] .

ولعل فى صلة الدوائر الإبداعية الثلاث ما يفسر هذا الجمع الدلالى فى نهج الشيخ العقّدى والفكرى .

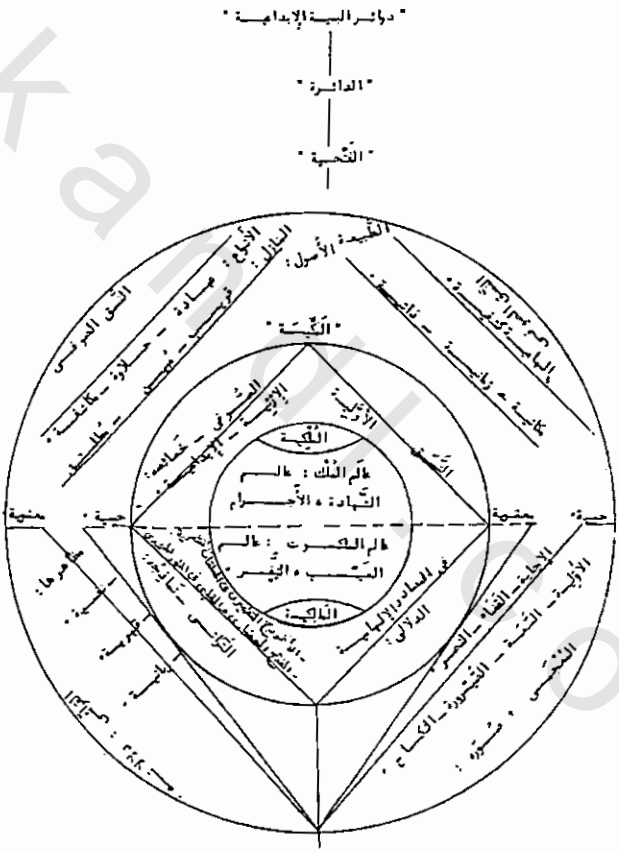

(١) ابن عربى . الفتوحات : س ١١ ؛ ص ٤٣٥ .

ثانيًا : الوصف الوراقى :

١ – الوصف الظاهرى :

(أ) البنية التصنيفية :

شُغِلَ الشيخ الأكبر بتصنيف فتحه المكى فى سنوات عدة فى طوره المَشْرقى ، فرَحل به بين أمصاره المكية والقونية والدمشقية ، فتآلفت فنونه وتآزرت معارفه ؛ وحين يصفه يقول : « هو كتاب كبير فى مجلدات ، مما فُتِحَ به عَلَىَّ فى مكة ، يحتوى على خمسمائة باب وستين بابًا ، فى أسرارٍ عظيمةٍ من مراتب العلوم والمعارف والسلوك والمَنازل والمُنَازلات والأقطاب وشبه هذا الفن »[١] فهو « من أعظم كتبه وآخرها تأليفًا »[٢] .

ويُشير إلى تطوره التاريخى وقد ظهرت له نُسختان « الأُولى : بدأها بمكة عام ٥٩٩هـ وأنهاها عام ٦٢٩هـ ، والثانية : بدأها بدمشق سنة ٦٣٢هـ وأنهاها سنة ٦٣٦هـ »[٣] وكُلُّ نُسخة لها سماتها وخصائصها وطبيعتها الزمانية والمكانية ، وهو فى نسخته الثانية يعكف على تهذيب نَصِّها وتثقيفه ، فيظهر أثر يَراعه النقدى ، ويَشع روح نهجه المعرفى .

وفى فهرسته الموضوعى ما يمثل إحكام بنيته المنهجية ، وصَنْعته التشكيلية ، وقد صُنِفَ على ستة فصول ، فاضت عنها أبوابه الستون وخمسمائة[٤] . .

وصفة هذه البنية التصنيفية فى أنساقها التكاملية ، تبدو على هذا النحو فى النسخة التمامية :

(ب) فلسفة البنية التصنيفية :

١ – فى التصوير اللغوى والاصطلاحى :

أسس « ابن عربى » جوهر فتوحاته على نهجٍ تصنيفى جمع فيه بين طبيعة ثُنائية تقوم على أنساقٍ فَصْلية وأُخرى بابية ، وجعل أصولها فصولاً وأفنان اشتقاقها أبوابًا ، وهو فى هذا يساوق بين الثبات والتغير ، أو بين صَيْرورةٍ حركية وسكونيةٍ رسُوخية .

(أ) ماهية الفَصْل :

ويُمثل « الفَصْل » فى بنيته اللِّسانية ، دلالةً على التمييز وعلامةً على التفريق ؛ فهو حَاجِزٌ بين شيئين ، وقَضَاءٌ بين أمرين[٥] .

---

(١) ابن عربى . رسالة التصانيف : م . كلية الآداب – الإسكندرية : مج ٨ ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(٢) حاجى خليفة . كشف الظنون : مج ٢ ، ع ١٢٣٨ .

(٣) ابن عربى . الفتوحات (تنبيه للمحقق) : س ١ ، ص ٢٠ .

(٤) تفردت المخطوطة الآصفية لرسالة التصانيف بذكر عدد الأبواب فى « خمسة وستين وخمسمائة : ٥٦٥ » ولعله من الأوهام النسخية .

(٥) الفيروزابادى . القاموس : (فَصَل) .

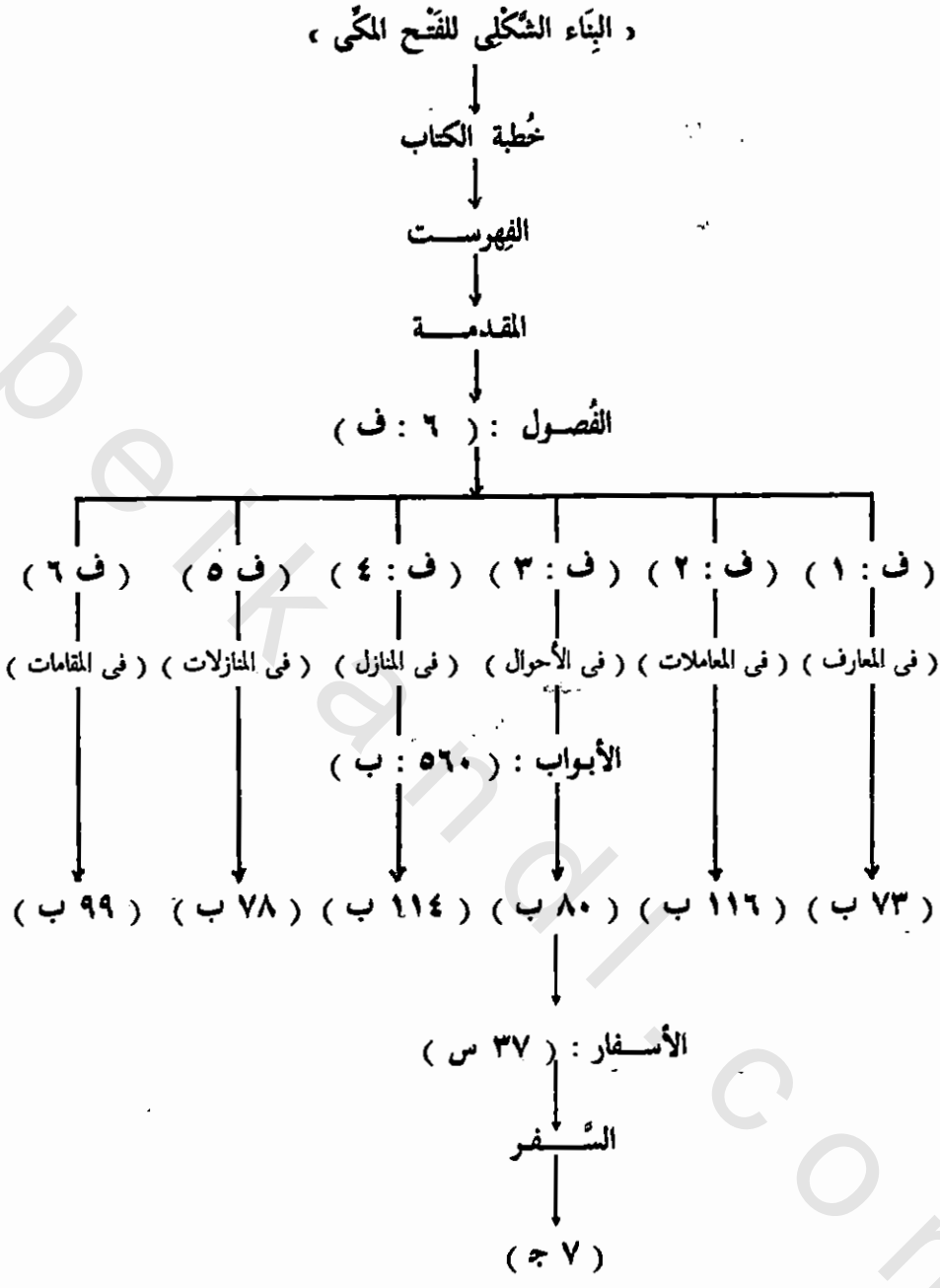

obeikandl.com

ومن سماته : أن يستقل بذاته[1] .

ومن ثَمَّ وجُدت « الفَاصِلة » القرآنية ، والتقفية الشعرية ، والقفل التوشيحى ، لتشير إلى ذلك .

وفى الاصطلاح الصوفى يراد بالفَصْل « فَوْت الشىء المرجو من المحبوب » ، وقيل : « فَرَحُ اتصَالِكَ ممزوجٌ بِتَرح الانفصال »[2] .

(ب) أما ماهية « الباب » :

فهو فى الأصل : « مُدْخَلٌ ، ثم سُمى به ما يَتوصل به إلى شىء »[3] .

وفى الاصطلاح المنطقى : يُشير إلى طائفة من الألفاظ ، فى دلالتها على مَسائل من جنس واحد ، وقد « يسمى به مادَلَّ على مسائل من صنف واحد »[4] .

وعند الصوفية يرون « التوبةَ » بَابَ أبوابهم[5] .

٢ – فى التصوير المذهبى والصوفى :

تُصنف الأدوار الإمامية فى نظرية المعرفة الإسماعيلية فى ستة : الدور الآدمى ، والنُّوحى ، والإبراهيمى ، والموسوى ، والعيسوى ، ثم النور المحمدى[6] .

وتبدو صلة الفكر الشيعة سافرةً عند أعلام الصوفية ، فى وحدة النَّسَب المَذْهبى ، وروح فلسفتهم الوجودية والعرفانية[7] .

ومن ثَمَّ يتحقق « ابن عربى » أسرارَ هذه الأدوار الستة ويفقه إشاراتها – عند مَنْ عَدَّهُ من أعلام المذهب الإسماعيلى[8] وهو قد أشار إلى « دَوْرة المُلْك » فى الباب العاشر من فتوحه[9] .

أما هذا النسق البنائى فتشهده الدوائر الوجودية الست فى الفلسفة الصوفية ، وهى :

---

(١) الجرجانى . التعريفات : (ب . الفاء) .
(٢) الطوسى . اللُّمع : ص ٤٣٣ .
(٣) أبو البقاء . : الكليات : ق ١ ، ص ٤٣٢ .
(٤) أبو البقاء . المصدر نفسه : ق ١ ، ص ٤٣٢ .
(٥) الجرجانى . المصدر السابق : (ب . الباء) .
(٦) مصطفى غالب . أعلام الإساعلية : ص ٤٢ ؛ جد ١ .
(٧) كامل مصطفى الشيبى . الصلة بين التصوف والتشيع : ص ٣٣٧ – ٤٢٥ .
(٨) مصطفى غالب : المصدر السابق : ص ٥٠٥ – ٥٠٧ .
(٩) ابن عربى : الفتوحات : س ٢ ، ص ٢٩١ – ٣٠٧ .

دائرة النقطة = الحَضْرة ، دائرة النبُّوة ، دائرة الولاية = الصديقين ، دائرة الشهداء = السائرين ، دائرة الصالحين ، دائرة العَوَام[1] . وهم يُصوِّرونها على النحو التالى :

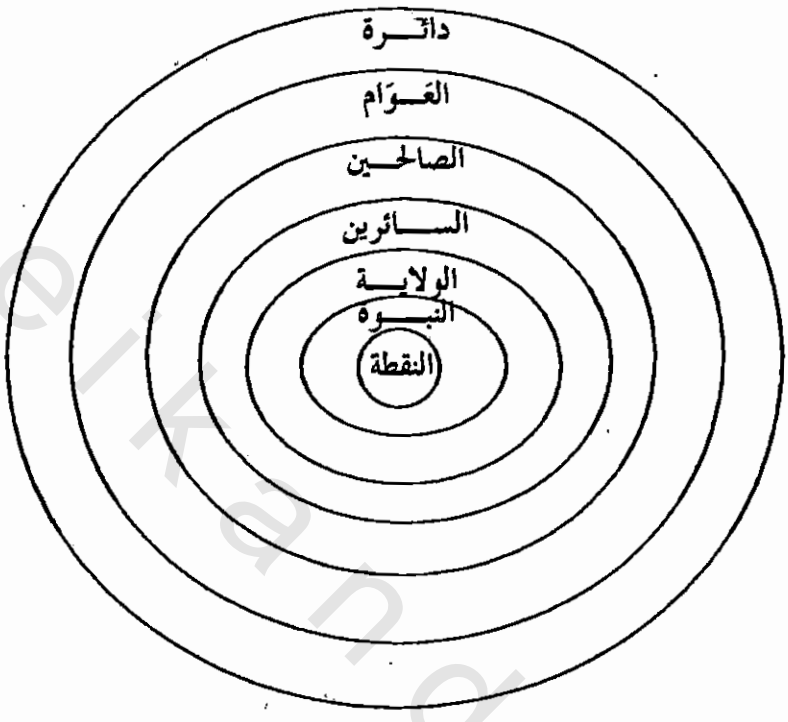

٣ – فى الرؤيا العِرفانية :

وهذه الصورة العرفانية تجمع بين معرفة رياضية وفلكية ووجودية وجوانية ، وهى تُؤلف بين رقائقها فى مدارج رمزية ، تبدو من خلالها العِلَّة البنائية للفتوحات المكية .

فـ « الفُصول الستة : ترمز إلى أيام الخَلْق الستة .. وعدد أبْوَاب المعارف : ترمز إلى الحد الأدنى من شُعَب الإيمان : « الإيمان بِضْعٌ وسبعون شعبة » (الإيمان + العِرفان = الإنسان الكامل) .

وعدد أبواب المُعاملات : ترمز إلى عدد الأخلاف الإلهية .

وعِدَّةُ أبواب الأحوال : ترمز إلى الحد الأعلى من شُعَب الإيمان .

---

(١) ابن عجيبة : الفتوحات الإلهية : ص ٣٢١ .

وعدد أبواب المنَازل : يرمز إلى عدد سور القرآن « وسور القرآن – عند ابن عربى – هى منازل تنزلات الوحى السماوى على القَلْب المحمدى ، وعدد المُنَازلات : يرمز إلى المَلْحمتين الصغرى والكبرى لِرجُلِ الروُّح ؛ الملحمة الكبرى ورقمها ٨ » و ، وهى رمز الحياة و« عرش الرحمن » ، والملحمة الصغرى ورقمها ٧ » ، وهى حرب الإنسان اليومية ، أيام الأسبوع وأخيرًا عدد « المقامات » يَرمز إلى عدد أسماء الله الحُسنى .

أما رمزية مجموع أبواب الفتوحات (٥٦٠) : فهى منازل القمر أو « هِجاء الحروف العربية » ، مضروبة عشر مرات ، مُضَافَة إلى نفسها أو مكررة مرة واحدة : ٢٨ × ١٠ = ٢٨٠ + ٢٨٠ = ٥٦٠[1] .

وعِدَّةُ هذه الأبواب تتسق وعام ولادته سنة ٥٦٠هـ ، فكأنه يُشير إلى استغراقه لأبواب المعرفة الإسلامية ، منذ فَجْرِها حتى عصره .

٢ – التطور التاريخى : وصُوره :

(أ) الطورالمكى : ومن آثاره :

١ – الآثار الخطية ، ومنها :

(أ) مخطوط « جامع الباشا » ؛ ٨٠/ تصوف .[2] .

(ب) مخطوط « بايزيد » ، برقم ٣٧٤٣ – ٠٣٧٤٦ –٤ مج ؛ مسطور بأقلام مختلفة[3] .

(جـ) مخ . القاهرة : دار الكتب ، أرقام : ١٦١ م ، ١٦٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٧٦٥/ تصوف[4] .

(د) مخ . القاهرة : دار الكتب – مكتبة قَوَلَة . – ٣ جـ/ ٣ مج ، ٥٠٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩١ و ؛ ٣٥ س ، فى حجم الربع . – نُسخت بقلم معتاد وبخطوط مختلفة[5] (ولعلها ناقصة لأحد أجزائها) .

كما استودعت الخَزائن الخطية بعض أجزائها ، أو شذرات مختارة لها ، من بينها :

(هـ) مخ . سوهاج : مكتبة رفاعة رافع الطهطاوى ؛ ٩١/ تصوف . جـ ١ ، وينتهى بـ « ب : ٦٥ » « فى معرفة الجنة » ليس بها إجازات أو سَماعات سوى تمليك بالشراء

---

(١) ابن عربى . الفتوحات (تعليقات المحقق) : س ٣ ؛ ص ٣٧ – ٣٨ .

(٢) داود الجلبى . مخطوطات الموصل : ص ٥٢ .

(٣) ابن عربى . الفتوحات (مقدمة التحقيق) : س ١ ؛ ص ٣٥ .

(٤) فهرس دار الكتب : جـ ١ ، ص ٣٣٧ .

(٥) فهرس قَوَلَة : ق ١ ؛ ص ٢٥٥ .

لـ « محمد حنفى » بحلب ، مؤرخ فى : ١٢٢٤ هـ . وكذلك « وقف محمد رفاعة ؛ ١٣٣٦ هـ . ولم يُشر إلى ناسخها أو تاريخ نسخها ومكانه . (لعله من مخطوطات : ق ١٠ هـ) . بخط نسخى دقيق ، بمداد أسود ، والفواتح : بمداد أحمر . العنوان بخط مُغَاير ، أغلب الظن فى نسبته لمالكه « محمد حنفى » . ٢٩,٥ × ١٩ سم ، المسطور منها ٢٣ × ١١ سم – ١٠٩ و ، ٣٥ س ، ٢٠ ك .

(و) مُنتخَب من أسرار الفتوحات المكية/ لابن عربى . – مخ . – القاهرة : دار الكتب ، ١٧٨/ تصوف[١] .

(ز) نُبذة من الفتوحات المكية/ لابن عربى . – مخ . – القاهرة : دار الكتب ، ٣٧٠/ مج – تصوف[٢] .

٢ – السَّيرورة الطِبَاعية :

وقد طُبعت النسخة الأُولى فى « القاهرة » بعناية محمد قِطَّة العدوى وتصحيحه لنصِّها فى :

– مط . بولاق ، ١٢٧٤ هـ .

– مط . بولاق ، ١٢٩٣ هـ .

٤ مج ؛ ٢٩ سم –

كما عَرفَ « الباب الستون وخمسمائة – : فى وصيةٍ حِكْمِية شرعية إلهية ينتفع بها المريد والواصل » ، وهو آخر أبواب الفتوحات – سيرورته ، فطُبِعَ طبعة مكية وأُخرى دمشقية :

(أ) الطبعة المكية : وتحمل عنوان : آخر أبواب الفتوحات المكية ؛ وتاريخ طباعتها فى ١٣٠٦ هـ[٣] .

(ب) أما الطبعة الدمشقية ؛ فعنوانها : الوصَايا ، وهى من نشريات : دار الإيمان ١٩٥٨ .

(ب) الطور الدمشقى :

١ – أُصوله الخطية :

هذا الطور التمامى للفتح المكى ، عرفَ سيرورته بين الوراقين ،وتوزعته خزائن الكتب المشرقية والمغربية ، ومن أشهر أُصوله « النسخة القونية »[٤] . وهى فريدة فى بابها ، أهداها مُصنفُها إلى تلميذه الصَّدر القونوى ، وقد استقر بها المقام فى :

---

(١) فهرس دار الكتب : جـ ١ ، ص ٣٦٤ .

(٢) المصدر نفسه : جـ ١ ، ص ٣٦٨ .

(٣) المصدر السابق : جـ ١ ، ص ٢٦٠ .

(٤) أبو العلا عفيفى . الفتوحات المكية : (تُراث الإنسانية) : مج ١ ، ص ١٦٤ ، ١٦٩ .

– استانبول : متحف الآثار الإسلامية ؛ أرقام ١٨٤٥ – ١٨٨١ . – [١] .

٢ – طبَعاته :

وهى صادرة عن نسخة قُونية أُخرى ، أُشار بنشرها عبد القادر الجزائرى ، وتلك صفتها :

الفتوحات المكية/ محيى الدين أبو عبد الله محمد بن على . – ط . مُقَابلة على نسخة المؤلف بقونية ، بإشارة عبد القادر الجزائرى . – على نفقة فِدَا محمد الكشميرى . –

القاهرة : دار الكتب العربية الكبرى (الحلبى) ، ١٣٢٩ هـ . – ٤ جـ/ ٨ مج ؛ ٢٩ سم . –

ومن سمات هذه الطبعة :

(أ) إشارة مُصنِّفِها إلى أن النسخة القونية هى الثانية ، والتى أُتمها فى ٦٣٦ هـ .[٢] .

(ب) وفى عِدَّة أسفارها ، ذكر أنها تحوى « سبعة وثلاثين مجلدًا ، وفيها زيادات على النسخة الأُولى ... »[٣] .

(جـ) ذُيلَت بترجمة الشيخ الأكبر التى أُوردها محمد قطة العدوى » فى نشرته البولاقية ، نقلاً عن « نفح الطيب »[٤] .

وعن هذه الطبعة ، ظهرت مصورة بالأُوفست فى :

بيروت : دار صادر ، (– ١٩٦) . –

بيروت : دار الفكر ، (– ١٩٨) . –

القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، (١٩٨٨) . –

(جـ) التحقيق العلمى والجمع بين الطورين :

يعكف الدكتور « عثمان إسماعيل يحى » على إخراج نسخة جامعة للنص الفَتْحى ، وقد أَلَّفَ بين طوريها المكى والدمشقى ، وهو يُعَول فى ذلك على أُصول أربعة مختارة : ثلاثة مخطوطة والرابع مطبوع ... وهى :[٥] .

---

(١) ابن عربى . الفتوحات (مقدمة التحقيق) : س ١ ، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٢) ابن عربى ، المصدر نفسه : جـ ٤ ، ص ٥٥٣ .

(٣) ابن عربى . المصدر نفسه : جـ ٤ ، ص ٥٥٤ .

(٤) ابن عربى . المصدر السابق : جـ ٤ ، ص ٥٥٤ – ٥٦١ .

(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٣٤ – ٣٦ .

١ – مخ . – قونية ؛ ١٨٤٥ – ١٨٨١ .
٢ – مخ . – بايزيد ؛ ٣٧٤٣ – ٣٧٤٦ .
٣ – مخ . – الفَاتح ؛ ٢٧٥ .
٤ – ط . – القاهرة ، ١٣٢٩هـ .

وهذه النشرة النقدية تحوى سبعة وثلاثين سفرًا ، وهى من أَجَلِّ ثمرات منهج التحقيق التراثى فى حياتنا المعاصرة[١] .

٣ – أثر الفتح المكى فى التصنيف الصوفى :

عَرفَ أعلام الفكر الصوفى للفتح المكى منزلته ، فوضعوا حوله تصانيفهم ، ورحلوا فى طلب علوم صاحبه ، وهم بين شارحٍ لبيانه ، وطالبٍ تأْويل رمزه وإشارته ، ومُجْمِلٍ لفنونه ومعارفه .

ومن أَهل التصنيف فى هذا النحو عُرف عبد الكريم الجيلى ثم جاء بعده عبد الوهاب الشعرانى ، وهما يتخذان من النبع الفتحى عينَ رِوَاءٍ لِتَسْفِيرهم ، وماء حياة لإبداعهم ، وقد حقق كُلٌّ منهما غايته ، وما خرجًا عن دائرة شيخهما فى مذهبه واعتقاده ، فهو « ظَاهِرِىُّ المَذْهب فى العِبَادات ، باطِنِىُّ النَّظَر فى الاعتقادات »[٢] .

ومن ثَمَّ التمس كلا الرجلين ما يتسق وغائية فِكره ؛ « فالجيلى » تعلَّقَ بشطره الباطنى ، واتخذ منه قدس تأْويله ، وهو لا يفارق نظريته فى الإنسان الكامل ، فكأنه رأى فى هذا التبيان العرفانى بُرهانَ حُجَّته وسراجَ منطقِه . أما الشعرانى » فلزِمَه شطر القضية الآخر ، فمكثَ دهرًا يطوف بفتوحات الطائى ، وقد ابتغى ظاهر العبارة كوسيلةٍ ينتصر بها لإِمَامِهِ فى عَصْرِه ؛ فالبلاغُ السَّلَفى والذَّبُّ عن العقائد الأكبرية من أسمى غايات الرؤية الشعرانية .

(أ) الجيلى وشرح المشكلات :

يُشير عبْد الكريم الجيلى إلى أنَّ صاحب الفتوحات أَجْمَل علومها وأَسَرَّ لطائف معارفها فى « الباب التاسع والخمسين بعد الخمسمائة » . ، ليغدو هذا لباب دائرةً لشَرْحِه وفَلَكًا لبيانه وروحًا لنهجه ، فالحاتمى فيه « لَفَّ ذلك النَّشَر ، وأَدمجَ ذلك العلم ، الكبير القدير ، الكثير الفَخْر على وَضْعِه العجيب ، وأُسلوبه العزيز الغريب ، وأَدمجَ ذلك العلم ، الكبير القدير ،

(١) أُنجز محققها أحد عشر سفرًا فى خمسة عشر عامًا (١٩٧٢ – ١٩٨٧) وينتهى السفر الحادى عشر بالجزء التاسع والسبعين ، وهى تقابل فى طبعة دار الكتب العربية : جـ ١ ، جـ ٢ – ص ٣٩ .
(٢) المقرى . نفح الطيب : جـ ١ ، ص ٤٠٥ .

الكثير الفَخْر على وَضْعِه العجيب ، وأُسلوبه العزيز الغريب »[1] . ثم يُبين عِلَّةَ تصنيفه ومنهاجه فى مقولته « انْغَلَقَ بالكُلِّيةِ فَهْمُ ما جَعَلَه فى ذلك الباب ، على كثيرٍ من أُولى الأَلباب . فَقصدت بشرح هذا الباب المخصوص ، حَلَّ جميع مُشكلات الكِتَاب ، واختصرتُ فى الكلام لئلا يُفْضِى الأَمر إلى الإسهاب والإطناب ... »[2] .

وهذه الصفة المنهجية تُسفر فى حَمْلها الدلالى إلى التزام صاحبها بشرح هذا الباب وحَلِّ مُشكلاتِه ، إلاَّ أنه يقف بشرحه عند ساحل الباب العاشر لا يُغَادره ، ولم يَسْتَوف شَرْطَ نَهْجِه أَو بِنيةَ عنوانه ،الذى يحمل « شَرْح مُشكلات الفتوحات المكية وفتح الأَبواب المُغْلَقات من العلوم اللَّدُنية » .

هذا الشَّرحُ قد سَار فى الآفاق ،ورَحلَ فى الأَمصار ، وتَعَدَّدت نُسَخُه ، ومن بينها :

١ – الإسكندرية : مكتبة البلدية ؛ ٦٣٠١ . د/ تصوف[3] .

٢ – دمشق : دار الكتب الظاهرية ؛ ٩١١٨[4] .

٣ – سوهاج : مكتبة رفاعة رافع الطهطاوى ؛ ١٧/ تصوف .

يُفتتح بعد البسملة والتصلية بـ « فإنَّه لَمَّا كان العلم بالله ، أَعظمَ العلوم قَدْرًا ... فقصدتُ بشرح هذا الباب المخصوص حَلَّ جميع مشكلات الكتاب ... وسميته » شرح مشكلات الفتوحات المكية وفتح الأَبواب المُغْلَقات من العلوم اللَّدُنية . ويُخْتِم بقوله : « وقد شَرحتُ لَكَ جميعَ ما حواه الباب العاشر من الفتوحات المكية . والله الموفق ، لا رَبَّ غيره . وقد تم الكِتاب ... » .

– لا تُعلِّق به إجازات أَو سَماعات سوى تَمَلُّك غير مقروء ، ثم وَقْف صاحب الخزنة محمد رفاعة ، ١٣٣٦ هـ ..

– لم يُذكر بيان نسخه : الناسخ ، تاريخه ، مكانه . (ولعل ناسخه) محمد أبو على الشافعي ، وقد انتسخَه عام تحبيره « لُباب الإعراب » للشعرانى ، ١٢٧٨ هـ .

ويبدو أن هذا الناسخ تُرد إليه جُل المخطوطات الصوفية فى خِزانة رفاعة .

خَطُّه : نسخى جميل ، لا يُثبِتُ الهمزة – كحال اللُّباب – . بمداد أَسود ، العنوان وفواتح العبارات ونص الفتوحات ، بمدادٍ أَحمر .

٢١,٥ × ١٥,٥ سم ، مسطور منها : ١٦,٥ × ١٠,٥ سم . – ٤٢ و ، ٨٢ ص (بترقيم حديث) ؛ ٢١ س ، ٩ ك .

---

(١) الجيلى . شَرْح المشكلات : – مخ . – رفاعة ؛ ١٧/ تصوف ؛ و ٢ أ .

(٢) الجيلى . المصدر نفسه : و ٢ – ب .

(٣) يوسف زيدان . عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية : ص ٦٣ .

(٤) يوسف زيدان . المصدر نفسه : ص ٦٣ .

٤ – طنطا : مكتبة المسجد الأحمدى ، ٣٢/ خ ، ٧٣٢/ ع –١٠٠ ص؛ ٢٠×١٢ سم . – يذهب مصنفو الفهرست فى نَسَبه « لمجهول »[١] .
وهو من الآثار الجيلية[٢] .
٥ – القاهرة : دار الكتب ، وبها نسخ أربع ، هى :
(أ) ٣١/ مج – تصوف .
(ب) ٢٠٠/ مج – تصوف .
(جـ) ٢٧١/ تصوف .
(د) ٦٥٥/ تصوف[٣] .

(ب) الشَّعرانى بين التلخيص والتَّخْليص :

وضع « الشعرانى » تصانيف عِدَّة تدور حول الفتح المكى فى فنونه ومعارفه ، منها ما يتعلق بفنون نثره ، وما يتصل بطوالع شعره .

١ – الفنون النثرية :

وقد صنَّف فى تلخيص المعارف الفتحية كتابه « لَواقِح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية » ، جعله على شاكلة الفتوحات فى أبوابها ،وفَرُغَ منه سنة ستين وتسعمائة . ثم لخصه فى « كبريته الأحمر »[٤] الذى يقول فى صفته : « هذا كتابٌ نفيسٌ انتخبتُه من كتابى المسمى بـ « لواقح الأنوار القُدسية » ، الذى كنتُ اختصرتُه من الفتوحات المكية ، خَاصٍ فَهْمه بالعلماء الأكابر ، وليس لغيرهم منه إلاّ الظاهر . وقد اشتمل على علوم وأسرار ومعارف ، لا يكاد يخطر عِلْمُها على قلب الناظرِ فيه ، قبل رُؤْيَتها فيه .

وقد سميتُه بـ « الكبريت الأحمر فى بيَان علوم الشيخ الأكبر » ، – ومرادى بالكبريت الأحمر : إكسير الذَّهب ، ومرادى بالشيخ الأكبر : محى الدين بن العربى – رضى الله عنه – ؛ أعنى أن مرتبة علوم هذا الكتاب بالنسبة لغيره من كلام الصوفية ، كمرتبة إكسير الذهب بالنسبة لمُطْلَق الذهب . . . والكبريت الأحمر يُتَحَدَّثُ بِه ولا يُرَى لِعزَّتِه ... »[٥] .

---

(١) فهرس مخطوطات المسجد الأحمدى : ص ٨٤ .
(٢) يوسف زيدان . المصدر السابق : ص ٦٣ .
(٣) فهرس دار الكتب : جـ ١ ، ص ٣٢٥ .
(٤) حاجى خليفة . كشف الفنون : مج ٢ ، ع ١٢٣٨ .
(٥) الشعرانى . الكبريت الأحمر : جـ ١ ، ص ٢ .

كما اختَصَّ علوم الشيخ الأكبر بتحبير كتابه « تنبيه الأغبياء على قَطْرة من بحر علم عوم الأولياء » ، وهو يذهب فيه إلى القول بأن علوم شيخه « مَبْنِيّةٌ على الكَشْف والتّعريف ، ومُطَهّرةٌ من الشّك والتحريف »[1] .

أما اعتقاده فقد ألّفَ فيه « اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر » ، انتصرَ فيه لعقيدة ابن عربى ومذهبه ، وعُمدته فى ذلك الفتح المكى[2] .

٢ – الفنون الشعرية :

وفى الاستهلال الشعرى صنّفَ صاحبنا كتابه « سواطع الأنوار القُدْسِية فيما صُدِّرَتْ به الفتوحات المكية » ، وهو يُمثل صنعةً ديوانية للإبداع الشعرى فى الفتح المكى ، جمَع فيه ما تناثَر بين مطالع أبوابه ، بإشارة منامية من الشيخ الأكبر .

وتوجد منه نُسخة خطية فى :

القاهرة : دار الكتب ؛ ١٤٦ م / تصوف[3]

(جـ) الفوائح المسكية والمحاكاة الإبداعية :

وقد سَطّر اليراع الصوفى تصانيف عِدَّة على نسقِ الفَتْح المكى ومُحاكاةٍ له ،ومن بين هذه الصور التصنيفية ما ألفه الشيخ عبد الرحمن البسطامى (ت ٨٤٥ هـ) فى السُّنَّةِ الموسوعية ،وسماه « الفوائح المِسْكية فى الفواتح المكية » وقد استهله بقوله :

« لما حَبَانى الله تعالى بهذه المعانى الكونية ، التى طُفْتُ فى تحصيلها البلاد ، ورفضتُ لَذَّةَ الرُّقاد ، ألْقَى الله تعالى فى خُطَيْرَتى ، أنْ أُعرِّف الجنَاب بفنونٍ من المعارف الربانية ؛ إذْ كانَ الأغلبُ مما أودعتُ بطونَ أوراقها ، عند حُلولى بمكة المكرمة ، ووقوفى بعرفاتِ كَمَا لِه ، وطوافى بكعبة جَماله . وجعلتُ شَرْحَ معارف علومها من ذَخائر خزائن شمس المعارف ، ونسَجْتُ ديباجةَ أبوابها من معادن مخازن الفتوحات المكية فى معرفة الأسرار المَالكية والمُلْكية ... »[4] .

فالصوفى يرى فى الفتوحات مَنْهَلاً له وسِرًّا من أسرار غَيْبِه وفيضه ، فيقوم على محاكاة مبانيها ومعانيها ، وقد استشرفَ مقامَ صاحبها العرفانى ، ومنزِلَه الإشراقى .

---

(١) الشعرانى . المصدر نفسه : جـ ١ ، ص ٣ .

(٢) الشعرانى : اليواقيت والجواهر : جـ ١ ، ص ٢ – ٦ .

(٣) فهرس دار الكتب : جـ ١ ، ص ٣١٩ .

(٤) أحمد زكى . موسوعات العلوم العربية ... : ص ٢٠ – ٢١ .

٤ – النقد التاريخى :

(أ) الشك الصوفى فى صحة النسخة المصرية :

يُثير « الشعرانى » إشكالية« الوضع والانتحال » فى التراث الإسلامى[١] ، وتُرد دوافعها إلى أُصول سياسية وفكرية ومذهبية[٢] ويخلُص منها إلى ما أصاب الفتوحات المكية فى نسختها المصرية من الدخيل فيها والغريب عليها . وقد أدركَ هذه الموضوعات حين وقفَ على تلخيصها واختصارها فى « لواقح الأنوار » ، فنَأى عَنْها وشَكَّ فى نسبتها إلى شيخه الطائى ، الذى يراه فى قانون معرفته اللغوية والعقَدية لا يتجاوز أمرين : شرف المعنى ، وظاهر الشَّرْع ، فـ « جميع ما لم يَفْهَمه الناس من كلامه ، إنما هو لِعُلُوِّ مرَاقِيه ، وجميُع ما عارضَ من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجُمهور ، فهو مَدْسوسٌ عليه »[٣] .

وهذه الوجهة النقدية نراه يُمسك بالشطر الآخر منها وَيلْزَمه فى اختصاره حين يقول : « اختصرتُها وحذفتُ المواضع المدسوسة على الشيخ فيها »[٤] . وهذه المواطن المُنكَرة تَمثلَت عنده فى « كُلِّ ما يَخالف ظاهر الشريعة » وقد دُسَّ « فى كتب الشيخ ما يوُهم الحُلول و« الاتحَاد »[٥] . وقد تَحقَّقَ ظَنُّه حين اطَّلَع على النسخة القونية .

(ب) النُّسخة القونية : طبيعتها التَّاريخية والوثائقية :

١ – الصفة التاريخية :

وهذه النسخة الثانية أتمها الشيخ زمن إقامته فى دمشق سنة ٦٣٦ هـ ، وأهداها لتلميذه وربيبه الصَّدْر القُونوى[٦] وقد وجد فيها « الشعرانى » مَوْثِقًا لما ذهبَ إليه فى تلخيص نصه وتخليصه ، ويتراءى ذلك فى قوله : « وقد توقفتُ حالَ الاختصار فى مواضع كثيرة ، لم يُظْهَر لى موافقتها لما عليه أهل السنة والجَمَاعة ، فحذفتُها من هذا المُخْتَصر ، وربما سَهَوْتُ فتتبعتُ ما فى الكتاب – كما وقعَ للبيضاوى مع الزمخشرى – ثُمَّ لَمْ أَزَل كذلك أَظُنُّ أَن المواضع التى حُذِفت ثَابَتة عن الشيخ محى الدين . حتى قَدِمَ علينا الأخ العالم الشريف شمس الدين

---

(١) الشعرانى . اليواقيت والجواهر : جـ ١ ، ص ٧ .
(٢) توفيق الطويل . التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى : ص ١٦٥ – ١٩٩ .
(٣) الشعرانى . المصدر نفسه : جـ ١ ، ص ٧ .
(٤) الشعرانى . لطائف المِنَن : ص ٧٥ .
(٥) الشعرانى . المصدر نفسه : ص ٣٩٤ .
(٦) حاجى خليفة . كشف الظنون : مج ٢ ، ع ١٢٣٩ .

اسيد محمد بن السيد أبى الطيب المدنى[1] – المتوفى سنة خمس وخمسين وتسعمائة ، فذاكرتُه فى ذلك ، فأخرَج إلىَّ نسخةً من الفتوحات التى قَابَلها على النُّسخة التى عليها خط الشيخ محى الدين نفسه « بِقُونية » ، فلم أرَ فيها شيئًا مما توقفتُ فيه وحذفتُه ، فعلمتُ أن النُّسخَ التى فى مصر الآن كُلَّها كُتبتْ من النسخة التى دَسُّوا على الشيخ فيها ما يُخالف عقائد أهل السنة والجماعة ، كما وقعَ له ذلك فى « كتاب » « الفصوص » وغَيْرِه »[2] .

فالشعرانى يُقيم نهجه النقدى على سلامة المعنى العقَدى ، ولا ينظر فى البِناء السَّنَدى نظرةَ جرح أو تعديل .

وهذه الموضوعات التى نفاها الشعرانى » ، وألقى بها فى تيهِ العَدَم تَطْهيرًا لعقدية شَيْخِه ، لم تَصل إلينا ولم يبقَ لها أثرٌ فى نُسخَةِ الطور الأول المطبوعة[3] .

٢ – الطبيعة الوثَقِيَّة : ومن صورها :

(أ) الصفة الوِرَاقية :

هذه النسخة دَوَّنَ الشيخ عليها بخطه وقْفِيتَّها ، وأثبتَ أنها ، « فى سبعةٍ وثلاثين مجلدًا ، وبها زيادات على النسخة الأولى التى دَسَّ الملحدون فيها العقائد الشينعة »[4] . وقد أشار « ابن عربى » فى خَاتمتها إلى أخص خصائصها الوِراقية .

(ب) الصفة الرِّوائية :

ويتشكل الإسناد التاريخى لرواية النص الفتحى فى طَوْره الثانى ، فى هذه المرايا التى تعرفها الرواية العلمية فى الثقافة الإسلامية ، فقد دُوِّنَت مجَالسها ، وتَعدَّدَت بَلاَغَاتها وسَماعاتها ، وسَطِّرت قراءاتها ووقْفِيَّاتها وتمليكاتها على صحائِفها[5] ليُمثل نَصُّهَا أنموذجًا فريدًا للتثقيف والتهذيب والصنعة الإبداعية ، وقد بَدَتْ عِزَّةُ هذا الأثر وتفرده عند حَمَلته من شيعة الشيخ وصفوة فكره .

---

(١) كذا فى « الكَشْف » ، و « لطائف المنن » ،أما فى « اليواقيت » فقد ورد « المُزْنى » .

(٢) حاجى خليفة . المصدر السابق : مج ٢ ، ع ١٢٣٨ – ١٢٣٩ .

(٣) أبو العلا عفيفى . الفتوحات المكية (تراث الإنسانية) : مج ١ ، ص١٦٣ .

(٤) حاجى خليفة . المصدر السابق : مج ٢ ، ع ١٢٣٩ .

(٥) ابن عربى . الفتوحات : س ١ ، ص ٤٩١ – ٤٩٣ ، س ٢ ، ص ٩٩ – ٥٠٠ .
: س ٣ ، ص ٥٣٤ – ٥٣٥ ، س ٤ ، ص ٦٥٤ – ٦٥٥ .
: س ٥ ، ص ٦٤٩ – ٦٥٠ ، س ٦ ، ص ٧١٦ – ٨١٧ .
: س ٧ ، ص ٧٨٧ – ٧٨٨ ، س ٨ ، ص ٧٣٦ – ٧٣٧ .
: س ١٠ ، ص ٧٣٥ ، س ١١ ، ص ٥٨٣ – ٥٨٤ .

وإذَا كان « الشعرانى » أقام نهجه على الشك فى صحة النسخة المصرية ، فإن شيخه « جلال الدين السيوطى » يصف النسخة التى وقفَ عليها فى قوله : « وقد رَأَيتُ « كتابَه » الفتوحاتِ المكية ، فى عشرين مُجَلَّدَة ، بِخَطِّه ؛ فرأَيتُ فيه دقائق وغرائب وعجائب ، ليست توجد فى كلام غيره ،وكأنَّ المنقول والمعقول مُمَثَّلاَنِ بين عَيْنَيْهِ فى صورةٍ محصورةٍ يُشَاهِدُها ، متى أرادَ تَأْتى أو الأثر ، ونَزَّله على ما يُريده ، وهذه قدرةٌ ونهايةُ اطلاعٍ وتوقُّد ذهنٍ وغايةُ حفظٍ وذِكْرٍ . ومن وقفَ على هذا الكتاب عِلَمَ قَدْرَه ، وهو من أَجَلِّ مُصنَفاته »[1] .

ثالثًا : البنية الموضوعية :

١ – فنون الفتح المكى :

آثر « ابن عربى » أن يجمع منهاج تصنيفه بين مرآته الإبداعية[2] . ورؤيته الفكرية[3] ، وقد أقامَ على أعرافِ فَتْحِه فنونَهُمَا[4] . وهو يُدرك شرف غايته ، ويَذوقُ عُذوبة جَنْبِها ، « فإذَا حَصَرَ البابُ البَصَر ، تَرَدَّدَ عينُ بصيرةِ الحكيم فنَظر ، فاستخرَج اللآلِئَ والدُّرَرَ . ويُعطيه الباب ، عند ذلك ، ما فيه من حِكَمٍ روحانية ، ونُكَت رَبَّانية ، على قَدْرِ نُفُوذِه وفَهْمِه ، وقوةِ عَزْمِه وهَمِّه ، واتِّسَاعِ نَفسه ، من أَجْل غَطْسِه فى أعماق بِحار عِلْمِه »[5] .

(أ) الفُصول والأبواب :

أبدع « ابن عربى » هيكل فتوحاته ورفع قواعدها على فصول ستة ، أحكم النظر فيها ، فانشَقَّ عنها من الأبواب ستون وخمسمائة . بدأ فيها « بالمعارف » التى رآها ضرورية للصوفى ،فى سَيْرِه وسلوكه نحو الحق . ومعارفُه – فى أساسها – باطنية . تبدأ « بعلم الحروف » ، وتنتهى بمعرفة أسرار الشعائر الدينية ... وما إن فَرغ من هذا القسم النظرى حتى انتقل إلى الأقسام العملية التالية . وهى « المُعَاملات : التى تُبين للسالك ما ينبغى أن يأخذ نفسه به من تجارب صوفية ، لكى يَطَّرِدَ نُموه الروحى وتُستكمل شخصيته ، و « الأحوال » : وهى العوارض والطَّوالع التى ينفعل بها رَجُلُ السلوك فى طريقه إلى مَلِك المُلوك ، و « المَنَازِل » : وهى مَعالم الحبيب فى أرضِ الغُرْبَة ، يقف عندها مستريحًا بُرْهَةً ، ثم يَخْلُفُها وراءه فى معراجه

---

(١) السيوطى . تنبئة الغبى بتبرئة ابن العربى :مخ . – دار الكتب ؛ ٢٩٢٠ ،/ مج – تصوف ؛ و ٧ أ .
(٢) ابن عربى . الفتوحات : س ١ ، ص ٤١ – ٧٣ .
(٣) ابن عربى . المصدر نفسه : س ١ ، ص ١٣٨ – ٢١٤ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٧٥ – ١٣٦ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٧٣ .

الدائم ، و « المَنازلات » : وهى مواطن اللقاء الخالد بين العبد فى صعوده ، والحق فى تَنزُّله ونُزوله ، وأخيرًا « المقامات » : وهى الآفاق العليا لرجال الروح ، التى تنتهى إليها أقدارهم وتتألَّق شَخْصِيتهم[1] .

وهذا الأُنموذج الموضوعى الذى يُكِنه الفهرست الفتَحْى ، يُصور روحَ نظريته فى فلسفة المعرفة الصوفية .

الفصل الأول : فى المعارف : (ف : ١ ؛ ب ١ – ٧٣) .

وأبوابه :

فى معرفة الروح الإلهامى ومخاطباته : ١ .
فى معرفة مراتب الحروف : ٢ .
فى معرفة الوجود الإلهى : ٣ .
فى معرفة الوجود الكونى : ٤ .
فى معرفة أسرار البَسْملة : ٥ .
فى معرفة بَدْءُ الخَلْق الروحانى : ٦ .
فى معرفة الوجود الإنسانى : ٧ .
فى معرفة أرض الحقيقة الآدمية : ٨ .
فى معرفة وجود الأرواح النارية المَارجية : ٩ .
فى معرفة الدَّورة المُلْكِيَّة : ١٠ .
فى معرفة آبائنا العُلْويات وأُمهاتنا السُّفْلِيات : ١١ .
فى معرفة الدَّورة المُحَمدية : ١٢ .
فى معرفة حَمَلة العَرْش : ١٣ .
فى معرفة أسرار الأنبياء والأقطاب : ١٤ – ١٦ .
فى معرفة مراتب العلوم الإلهية والكونية : ١٧ – ٢٤ .
فى معرفة الأقطاب والأوتاد : ٢٥ – ٥١ .
فى معرفة المُكَاشِف فى حَضْرتىّ الغَيْب والشهادة : ٥٢ .
فى معرفة الرياضة الروحية : ٥٣ .

( ) ابن عربى . المصدر السابق : (مقدمة التحقيق) : س ١ ، ص ٣٠ .

obeikandl.com

فى معرفة الإشارات : ٥٤ .
فى معرفة الخواطر الشيطانية : ٥٥ .
فى معرفة المنطقِ الاستقرائى وعِلَلِه : ٥٦ .
فى معرفة النَّفْس والإلهام : ٥٧ – ٥٨ .
فى معرفة الوجود الزَّمَانى : ٥٩ .
فى معرفة الوجود العُنْصرى : ٦٠ .
فى معرفة النار ومراتبِها : ٦١ – ٦٢ .
فى معرفة البرزخ والحياة البرزخية : ٦٣ .
فى معرفة القيامة والمِعَاد : ٦٤ .
فى معرفة الجنة ومنازلها : ٦٥ .
فى معرفة سر الشريعة ظاهرًا وباطنًا : ٦٦ .
فى معرفة أسرار أركان الإسلام الخمسة : ٦٧ – ٧٢ .
فى معرفة عدد ما يَحْصُل من الأسرار الشهودية : ٧٣ .

الفصل الثانى : فى المُعَاملات (ف : ٢ ، ب ٧٤ – ١٨٩) .
وأبوابــه :
فى التوبة والتَّرْك ، المُجَاهدة ، الخُلوة ،العُزْلة ، الفِرَار ، التَّقوى ، « أسرار أحكام أُصول الشرع » ، النوافل ، أسرار الفرائض والسنن ، الورَع ، الزهد ، الجُود والكرم ، الصمت ، مقام الكلام ، مقام السَّهر ، مقام النَّوم ، مقام الخوف ، مقام الرجاء ، الحزن ، الجوع ، الفتنة والإرادة والشهوة واللَّذة ، مقام الخُشوع ، مقام النفس اللَّوامة والأَمَّارَة ،الحسَد ، الغَيْبة ، القَناعة ، الشَّرَه ، التوكل ، السُّكر ، اليقين ، الصَّبر ، المراقبة ، الرضا ، العُبُودة ، الاستقامة ، الإخلاص ، الصدق ، الحياء ، الحرية ، الذِّكر ، الفكر ، الفُتوة ، الفِراسة ، الخُلُق ، الغَيْرة ، مقام الولاية ، النبوة ، الرسالة ، الفَقْر ، الغِنَى ، التصوف ، التحقيق ، الحِكمة ، كيمياء السعادة ، الأدب ، الصحبة ، التوحيد ، الشِّرك ،السَّفَر والرحلة ، أحوال القوم عند الموت ، مقام المعرفة ، المحبة ،الخُلَّة ، الشوق ، احترام الشيوخ ، مقام السَّمَاع ، الكرامات ، المُعجزات ، مقام الرؤيا والمبَشِّرات ، معرفة صورة السَّالك .

الفصل الثالث : فى الأحوال (ف : ٣ ، ب ١٩٠ – ٢٦٩) .
وأبوابــه :

obeikandl.com

في معرفة أحوال المسافر والطريق ، الحال ، المقام ، المكان ، الشَّطْح ، الطوالع ، الذِّهاب ، النَّفَس ، السِّر ، الوَصْل ، الفَصْل ، الأدب ، الرياضة ، التَّحلى ، التَّخلى ، التَّجَلى ، العِلَّة ،الانزعاج ، المُشاهدة ، المُكاشفة ، اللَّوائح ،التَّلوين ، الغَيْرة ، الحَيْرة ، اللَّطِيفة ، الفُتوح ، الوَسْم والرَّسْم ، القَبْض ، البَسْط ، الفَناء ، البقَاء ، الجمع ، التفرقة ، عين التحكيم ، الزوائد ، الإرادة ، المُريد ، الهِمَّة ، الغُربة ، المَكر ، الاصطلام ، الرغبة ، الرهبة ، التواجد ، الوَجْد ، الوجود ، الوَقْت ، الهَيْبة ، الأُنس ، الجَلال ، الجمال ، الكَمال ، الغيبة ، الحضور ، السُّكْر ، الصَّحْو ، الذَّوق ، الشُّرْب ، الرِّيّ وعَدمه ، المَحْو ، الإثبات ، الستر ، المَحْق ومحق المحق ، الإبداد ، المُحاضرة ، اللَّوامع ،الهُجوم والبَوادِه ، القُرَب ،البُعْد ، الشريعة ، الحقيقة ، الخواطر ، الوارد ، الشاهد ، النَّفْس ، الروح ، علم اليقين وعَيْنه وحَقّه .

الفصل الرابع : فى المنازل (ف : ٤ ، ب ٢٧٠ – ٣٨٣) .

وهذه المنازل يظعن إليها العارفون فى سَفَرهم الروحى ، وقد اتخذوا من الحضرة النبوية أُنسًا لوَجْدِهم وسِرَاجًا لقلوبهم ، وتدور المنازل الوَلائية حول الحضرة النبوية فى تعيناتها الثلاثة : المُحمدية والموسوية والعيسوية .

فمنزل المناجاة والتوحيد والحَوْض والقَواصم والعَظَمة الجَامعة للعظَمات من الحَضْرة المحمدية . وقتل النَّفْس وزيارة الموتى واشتراك عالم الغيب والشهادة تُطلب فى الحَضْرة الموسوية . أما مناجاة الجَماد فهو منزل تشترك فيه الحَضْرَتان المحمدية والموسوية ؛ وحين يُؤْثِرُ الفَقْرَ على الغِنَى يأوى إلى الحضرة العيسوية .

فالشيخ يرى المنازل العِرفانية من خلال فِقْهِه للخَصائص النبوية العامة وإرثه للنور المحمدى .

الفصل الخامس : فى المَنَازَلات (ف : ٥ ، ب ٣٨٤ – ٤٦١ .) .

وهى مواقف ومخاطبات تُصور طبيعة المعارج الروحية وأَيْنِيَّةِ المَعِيَّةِ فى المسَالِكِ الصوفية . وهذه المَنَازلات نابعة عنده من خزائن الحِكَم القُرآنية وكنوز المعرفة المحمدية . ومنها : فى معرفة المنازلات الخِطابية ، منازلة « التواضع الكِبْرِيائى » ، وفى منازلة « زمانُ الشيء وجودُه إلاَّ أنا ، فَلاَ زَمانَ لى ، وإلاَّ أنتَ فلا زَمانَ لك : فأنتَ زمانى وأنا زَمانُك » . ومن منازلاته كذلك « من جعلَ قَلبه بَيْتِى وأَخْلاَه من غَيْرِى ، ما يَدْرى أحدٌ ما أُعطيه ، فلا تُشَبِّهوه بالبيت المعمور ، فإنه بيت ملائكتى لابَيْتِى ؛ ولهذ لم أُسْكِنْ فيه خَلِيلِى . بل بَيْتِى قلبُ عِبْدِى الذى وسعَنى حين ضاقَ عنى أرضى وسمائى » .

ومنها : « من ثَبَت لظُهورى كانَ بى لا بِه : – سبحانى ! كان به لابِى ؛ وهذا الحقيقة والأول المجاز .

ومنها : « فى المَخارج معرفة المَعارج » .

ومنها : « من أَسْدَلْتُ عليه حِجَابَ كَنَفِى هو من ضَنَائِنى ، لا يعرفُه أحدٌ ولا يعرفُ أحدًا » .

الفصل السادس : فى المقَامَات (ف : ٦ ، ب ٤٦٢ – ٥٦٠) .

وهذا الفصل يدور حول معرفة الأَقطاب المحمديين ومنازلهم ، ومعرفة الأَثْنَىْ عَشْرَ قُطْبًا ، وهم الذين يدور بهم فَلَك العَالَم ، كما يُشير إلى حال « قطبِ الأَقطاب المحمدية » ومنزله : « لا إله إلاَّ الله » ، ثم يعرض للأَحوال القُطبية ومنازلها القرآنية ،ويتم مقاماته بمعرفة خِتم الأَولياء والأَسماء الحسنى .

وقد وضع زُبدةَ فتوحاته فى « الباب التاسع والخمسين وخمسمائة : وهو فى معرفة أَسرار وحقائق من منازل مختلفة » و « وهذا الباب هو كالمُخْتَصر لأَبواب هذا الكتاب ...وفيه زِيادة ثلاثة أَو أَربعة »[1] . وُيتمها بالباب الستين وخمسمائة ،وهو « فى وصيةٍ حِكْمِيَّةٍ شرعية إلهية ينتفع بها المريد والواصل » .

(ب) السمات الموسوعية :

تُمثل الفتوحات المكية نسَقًا موسوعيًا فى نظرية المعرفة الصوفية ، وهذه السُّنَّة المنهاجية عَرفَ لُزومياتها ورَعَى حدودها نفَرٌ من أَعلام أَهل التصنيف من بعده ، تَرَى ذلك فى « صُبح الأَعشى » و « نهاية الأَرَب » وما شَاكلهما .

هذه الخصائص الموسوعية تقع عليها عين الناقد الأَديب ، فيُصورها فى مرآته ، ويَستدِلُّ بها على عبقرية صاحبها الإبداعية . وقد نظرَ نفرٌ إلى الفتوحات نَظَرًا موسوعيًا ومن بين شواهدهم : ابن الأَكفانى والجيلى والشعرانى . فابن الأَكفانى نراه أَلَفَ بين ظواهرها التكاملية والنَّفْعية والرمزية حين يقول : « ولا أَجْمَعَ وأَنفعَ من كتاب « الفتوحات المكية » للشيخ محيى الدين ابن العربى الطائى ، وكتبه كلها لا تخلوا من فوائد ضمن إشارات لطيفة . وهذه الكتب جُلُّها رَمْزٌ ، فمن قَدَح فى ظاهرها فهو بمَعْزِلٍ عَنْها ... »[2] .

أَما الجيلى فلا يغادر هذه السمات الإبداعية والفكرية ، ليظلَّ فى عَيْنِ رؤيته « من أَعظم الكتب المصنَّفَة فى هذا العِلْم نفعًا ، وأَكثرِها لغَرابته وعَجابتِه جَمْعًا ، وأَجَلِّها إحاطةً ووُسْعًا ، تَكلَّمَ الشيخُ فيها بألسنةٍ كثيرة ، وأَوضَحَ عن معانٍ غريبة خطيرة ، فَصرَّحَ تارةً عن حالٍ ورمزَ أُخرى عن حالٍ ، وأَفصحَ طورًا عن مقصود وأَدمج أُخرى عن مرادٍ فى المَقال . ولم يَزَل –

---

(١) ابن عربى . الفتوحات : س ١ ، ص ١٣٦ .

(٢) ابن الأَكفانى . إرشاد القاصد ... مخ . – دار الكتب ؛ ٩/ مج ؛ و ٥٦٢ ب .

رضى الله عنه – يتكلم فى هذا الكتاب على حقائق الأشياء ، حتى أدَّى به إلى الإسهاب الإطناب ، فعَسُرَ على الأكثرينَ تَحْصِيلُه ، وفاتَ عن الغالب معرفتُه وتَأويلُه ، وصار الناسُ فيه بين أحد رجلين : رجل عجز عن تحصيل الكتاب ، فانقطعَ عن انْتِوَال الغائِدة منه وخاب ، ورجل حَصَّلَه وعجزَ عن معرفة ما أراده الشيخ من كِنايات عجيبةٍ وإشارات غريبة ، فانقطَعَ بالكُلِّيَة عن دَرْكِ عِلْمِه ، لأنه يَحْتَار عَقْلُ كُلِّ فاضلٍ ولبيبٍ عن حَلِّ مُشْكِلٍ من ذَلك الرمز الغَريب ... »[1] .

تلك أثر الفتوحات عند طائفة من مصنفى القرن الثامن والتاسع : أما فى القرن العاشر فقد كانت قِلادةَ عِقْيانٍ ويتيمةَ دَهْرٍ وخريدةَ حضارةٍ ، ما فارقت الشعرانى فى تسطيره وتحبيره ، فهى رسالة جامعة للعلوم والمعارف المُدركة والغَائبة ، يتجلى ذلك فى صفتها عنده حين يقول :

« إننى قد طالعتُ من كُتب القوم مالا أُحْصِيه ، وما وجدتُ كِتَابًا أَجْمَعَ لِكلام أهل الطريق من كتاب الفُتوحات المكية ، لاسِيَّما ما تكلم فيه من أسرار الشريعة وبيان منازع المُجتهدين التى استنبطوا منها أقوالهم . فإنْ نظرَ فيها مجتهدٌ فى الشريعة ازدادَ علْمًا إلى علمه ، واطَّلعَ على أسرارٍ من وجوه الاستنباط وعلى تَعْليلاتٍ صحيحةٍ لم تكن عنده ،وإن نظرَ فيه مُفسرٌ للقرآن فكذلك ، أو شارح للأحاديث النبوية . أو متكلم ...أو مُقرئ ... أو مُعَبِّر للمنَامات ... أو عالمٌ بالطبيعة ... أو عالم بالهندسة ... أو نَحْوِىٌّ ... أو مَنْطِقىٌّ ... أو صُوفِىٌّ ... أو عالمٌ بعلم حضرات الأسماء الإلهية ... أو عالم بعلم الحَرْف فكذلك .

فهو كتابٌ يفيد أصحابَ هذه العلوم وغيرها علومًا لم تَخْطر لهم قط على بال . وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم مِنها فى كتابنا المُسمى بـ « تنبيه الأغبياء على قَطْرةٍ من بحر علم علوم الأولياء . » فإنَّ علوم الشيخ كُلَّها مَبْنِيَّةٌ على الكَشْف والتعريف ،ومُطهرةٌ من الشك والتحريف ... »[2] .

ومن ثَمَّ عُدَّ الفتح المكى فى التراث الصوفى من عيون ذخَائره ، وتَبْعِ ينابيع فيضه ومعرفتِه .

٢ – المصادر الفتحية :

وهى على ضربين : أحدهما : مصادر ذاتية ، صنَّفَها صاحبُها واستدَلَّ بها ، والآخر : مصادر غيرية ، وقَفَ عليها ،وعرضَ لها فى نَقْده أو استدلاله .

---

(١) الجيلى . شرح المشكلات ... . مخ . – رفاعة ؛ ١٧/ تصوف ؛ و ٢ أ .

(٢) الشعرانى . الكبريت الأحمر : جـ ١ ، ص ٢ – ٣ .

(أ) المصادر الذاتية :

(أ)

« رسالة » الأخلاق :

صنفها للفخر الرازى . وفيها تصوير لفلسفة الفُتوة وروح حقيقتها ، ليُعرفَ الفتَى بوقوفه عند مراسم سَيِّده[1] .

« رسالة » الأزل : « كتاب » الأزل :

أشار إلى صفتها فى تبيان الحقيقة الأزلية ودلالتها فى قوله : وفى جُزْءٍ لنا سميناه « الأزَل »[2] .

« كتاب » الإسراء :

أُلمحَ إليه من خلال حَمْلهِ لقصديته : « أنا القرآنُ والسَّبْعُ المَثانى »[3] .

« رسالة » أسرار الحروف :

الإحالة إليه لمعرفة سرِّ الصَّاد اليابسة ، وهو حرف من « عَالَم الغَيْب والجبَروت » ، لا يُنَال إلاَّ فى النَّوم[4] .

« كتاب » إنْشَاء الدوائر والجدَاول :

(أ) الإشارة إليه : لمعرفة« مراتب الحَضْرتَيْن الإلهية والإنسانية »[5] .

(ب) لبيان حكمة الأسماء الإلهية ودلالاتها الذاتية والحَقِّية[6] .

« رسالة » الأنوار فيما يُمنح صاحب الخلوة من الأسرار :

ذكره فى « أسرار الطهارة »[7] .

(ب)

« كتاب » تاج الرسائِل ومنهاج الوسائل :

---

(١) ابن عربى . الفتوحات : س ٤ ، ص ٥٥ .
(٢) ابن عربى . المصدر نفسه : س ١٠ ، ص ٢٣٦ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٧٠ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٣١٢ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٤٠ ، ٢٥٢ .
س ٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ٢٩٧ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٥ ، ص ٢٢٦ .

أسفر عن علة تصنيفه وأسرار الخِطَاب الصوفى فى قوله :

« وكانت بينى وبين الكعبة فى زمان مُجَاورتى بها مُرَاسلةٌ وتَوسلاتٌ ومُعَاتبةٌ دائمة . وقد ذكرتُ بعضَ ما كان بينى وبَيْنَها من المُخَاطبات فى جزء سميناه « تاج الرسائل ومنهاج الوسائل » . يَحْوى فيما أظن على سبع رسائل أو ثمان ، من أجْلِ السَّبْعَة الأشْوَاط : لكُّ شَوْط رِسَالةٌ مِنِّى إلى الصفة الإلهية التى تَجَلَّت لى فى ذَلِك الشَّوْط »[1] . ثم يُصور الصلة العشقية بين البَيْت والقَلْب الواجِد فى قوله : « وخاطبتُها بتلك الرسائل السَّبعة . فزادتْ بى فرحًا وابتهاجًا ... »[2] ولكأن هذا « التاج » يحمل رسالةَ غفرانِ صاحبهِ ، ويرفع قربانَ تطهيرِه وخلاصِه ، ويُقَدِّم براءته مما ذهب إليه فى أفْضَلِيَّةِ العَالَم الإنْسِىِّ عَلَيْهَا .

« كتاب » التدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية :

الإحالة إليه فى :

(أ) معنى « الكِتَاب » و « الكَاتب » : « لأن أُمهات الكتاب ثلاثة : الكتاب المسطور ، والكتاب المرقوم ، والكتاب المجهول (المكنون) »[3].

(ب) « الباب الثامن والأربعين : فى معرفة إنما كان كذا لكذا ، وهو إثبات العلة والسَّبَب » ، وقد اتخذَ من اختلاف النِّسَب الإلهية علةً لاختلاف الشرائع[4] .

« كتاب » التنزُّلات المَوْصلية :

الإشارة إليه فى :

(أ) حقيقة النور المحمدى ؛ وقد بَسط فيه شواهده من أمر كُلِّ سماء ..[5].

(ب) « أسرار الصلاة » و « أسرار الأحكام الشرعية الخمسة : الواجب والمندوب والمحظور والمكروه والمباح وما يقابلها من مراتب الوجود » ، وصلة الطبقات الولائية فى عالمى الروح والجسد ، و « مراتب أهل النار »[6] .

(جـ) « الطَّهارة المعنوية والحِسِّية » ، و « سرّ المَضْمَضَةِ الروحانى »[7] .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١٠ ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١٠ ، ص ٢٩٨ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٨٥ ، س ٢ ، ص ١٩٧ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٤ ، ص ١٩٢ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣٣٩ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٤ ، ص ١٤٦ ، ٣٢٦ ، ٣٦٤ ، ٤٠٠ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٥ ، ص ١٣٤ ، ١٥٤ .

(ج)

« كتاب » الجَمْع والتفصيل فى معرفة معانى التنزيل = تفسير القرآن .

ورد ذكره فى :

(أ) تأويل أسرار المطالع الحرفية للسور القرآنية[١] .

(ب) تفصيل جوامع الكَلِم الثلاثة : « الذّات والحدَث والرابِطة »[٢] .

(خ)

الخُلوة المُطْلَقة :

(أ) صنفه إجَابةً للقَسْطَلانى .

(ب) ذكر فى صفته أنه « جُزْءٌ ... » ، وفى شَرفِ أَوَّلِيَّته يذهب إلى القول « وما سبقَنى إليها – الخُلوة المطلقة – أَحدٌ فى علمى ، إلاّ إنْ كان وما وصلَ إلَىَّ . فإنّ اللهَ لا تحجيرَ عليه ... »[٣] وتلك أخلاق العارفين وآدابهم فى المعرفة الإبداعية .

(د)

الدُّرة الفاخرة :

وفيه ذِكْرٌ لـ :

(أ) شيوخه الذين انتفعَ بهم فى طريق الآخرة[٤] .

(ب) مذهب شيخه أبى إسحاق بن طُرَيف فى الولاية[٥] .

(ر)

« كتاب » رجال الغِنَى :

(أ) وفيه بيانٌ لأهل هذا المَقام ، « فرجال الغِنَى ثَلاثَةٌ ، وإنْ نظرتَ إلى بشَرِيتهما : فرجال الغِنَى اثْنَان . وقد يكون منهم النساء . فغَنِيٌّ بالنَّفْسِ ، وغَنِيٌّ باللّهِ ، وغَنَىّ غِنَاه اللّهُ .

(ب) وفى صِفته يقول : « ولنَا جُزءٌ عجَيب فى معرفة هَؤُلاء الرجال الثلاثة »[٦] .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٦٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٣١ .

(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٥٨ ، ١٩٧ .

(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ٦ ، ص ٧٥ – ٧٦ .

(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ٢٨٠ .

(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ٩ ، ص ١٩٥ .

(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ١١ ، ص ٣٣٠ .

(ز)

« كتاب » الزَّمان :

عرضَ له فى :

(أ) حكمة الحدوث والتوالد فيما بين الليل والنَّهار[1] .

(ب) « وقت الوتر » ، وفيه : « أنَّ الوقتَ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ ، لا وجودَ له والوتر أَمْرٌ مُحقَّقٌ وجُودِيٌّ »[2] .

(ش)

« كتاب » الشَّأْن :

وضعَه فى أمر « الزَّمان والشُّؤون الإلهية ، تَكلَّم فيه على قوله تعالى : ﴿كُل يَوْمٍ هو فى شَأْنٍ﴾[3] .

(ع)

عُقْلَة المُسْتَوفِز :

(أ) صنفه فى بيان « خَلْق العَالَم »[4] .

(ب) وهو يأْخذُ منه فى الفتوحات « رُءوسَ الأَشياء »[5] .

عَنْقَاء مُغْرِب فى معرفة ختْم الأَولياء وشَمْس المَغْرب .

الإشارة إليه فى :

(أ) عِلَّة بدء العالم[6] .

(ب) الوجود الكونى : وهذا العَالَم « عبارةٌ عن كلِّ ما سِوَى اللَّه »[7] .

(جـ) « مُجَاراة الأَسماء الإلهية للحركات الإنسانية »[8] .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣٢٠ .

(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ٧ ، ص ٢٦١ .

(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣١٩ – ٣٢٠ .

(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٢٤٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، س ٩ ، ص ٤٤٧ .

(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣٥١ .

(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ١١٩ .

(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٨) ابن عربى . المصدر السابق : س ٩ ، ص ٤٧١ .

« كتاب » عيُون المسائل :

الإشارة فيه إلى « الدُّرة البيضاء » أو « العَقْل الأول »[1] .

(م)

« كتاب » المبادئ والغايات فيما تحوى عليه حروف المُعْجَم من العجائب والآيات :

الإشارات إليه فى :

(أ) وَضْعِه وتصنيفهِ ، حين يقول : « وهو بين أيدينا ما كَمُلَ ولا قُيِّدَ منه ، إلا أوراق متفرقة يسيرة . ولكن سأذكر منه فى هذا البابِ لَمْحَةَ بَارِقٍ ... »[2] .

(ب) الأُسس الفلسفية للبنية الحرفية[3] .

(جـ) مراتب الحروف اللفظية[4] .

« كتاب » المركز :

يصفه بأنه « نُقطة الدائرة » و « محل العنصر الأعظم »[5] .

« كتاب » المعرفة :

يُسفر عنه فى قوله : « كُنَّا حَصْرنَا فى « كتاب » المعرفة الأُولى ، ما للعقِل من وجوهِ المعارف فى العَالَم ... »[6]

« كتاب » المعرفة بِاللَّه :

صنَّفه فى دلائِل عِلم البارئ بآثار الخَلْق[7] .

« كتاب » مَعْرفة العَدَد :

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٠٩ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٣٦ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٨ ، ٢٩٣ ، ٣٣١ . س ٢ ، ص ٦١ ، ٦٧ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ٢٠٣ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣١٧ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٠٨ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ٥٩ .

الإشارات التصنيفية فى :

(أ) مقولته : « ولنَا فى علم العَدَد ، من طريق الكَشْف ، أسرارٌ عجيبةٌ ، من طريق ما يقتضيه طَبْعُه ، ومن طريق ماله من الحقائق الإلهية ، وإن طَالَ بنا العمر فسأُفردُ لمعرفة العدد كتابًا ... »[1] .

(ب) وقوله : « إنَّ العددَ سرٌّ من أسرار الله فى الوجود ، ظَهرَ فى الحضرة الإلهية بالقُوة ... وظهَر فى العالم بالفِعْل ، وانسحبت معه القوة . فهو فى العَالَم بالقوة والفعل . وغرضُنا – إنْ قَـرَّرَ الله فى العُمر وتراخى الأجل – أن نضعَ فى خواص العدد موضوعًا لم نُسبق إليه فى عِلمى ؛ نُبدى فيه من أسرار الأعداد ، وما تعطيه حقائقه ، فى الحضرة الإلهية وفى العَالَم والرَّوابط ... »[2] .

مفاتيح الغيوب : فى الإشارة إلى « منزل المَدْح » وماله من أسرار الفتح[3] .

« كتاب » المَنِيعُ الحِمَى البَصيرُ فيه أعْمَى فكيفَ من حَلَّ به العَمَى[4] .

مواقع النجوم :

الإحالات إليه فى :

(أ) « الباب الخامس والأربعين : معرفةُ مَنْ عادَ بَعْدَما وَصَل »[5] .

(ب) بيان « أعضاء التكليف فى الإنسان »[6] .

(جـ) « منزل التنزيل الذَّاتى من فَلك القَلْب » وأسرار الطَّواف بكعبة القَلْب الذى وَسِع الرَّب[7] .

« كتاب » الموعظة الحسنَة :

ألفه فى تبيان النشأة الإنسانية وحكمة التعادلية[8] .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٦٩ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٣٤٩ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ١١٦ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣١٢ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ٤ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٥ ، ص ١٥٦ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٥ ، ص ٣٢٧ .
(٨) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣٦٩ .

(ن)

« كتاب » النِّكَاح السارى فى جميع الذَّرارِى :

وقد جَمع فيه بين أَسرار الوجود الإنسانى[1] والوجود الكونى وفلسفة اللذة [2] .

« كتاب » اليقين :

وفيه تصوير لفَلسفة الكرامات الوَلائية بِحُكم التَّبَعِيَّة الإرثِيَّة لا بمراتب اليقين ودرجاته ؛ وقد عَلِمَ كُلُّ سَالِكٍ مَشْرَبَه »[3] .

(ب) الينابيع التراثية :

١ – المصادر الشرعية :

(أ) التصانيف الحديثية :

(أ)

ابن أَبى أُسامة ، الحارث بن محمد (ت ٢٨٢ هـ) .

– المُسْند[4] .

ابن زِنْجَوَيْه ، أَبو أَحمد حُميد بن مُخلد بن قتيبة النَّسائى (ت ٢٤٨ هـ) .

– « كتاب » الترغيب .

نقلَ عنه حديثًا فى « الصوم »[5] .

أَبو داود ، سليمان بن الأَشعث الأَزدى السجستانى (ت ٢٧٥) .

– السُّنَن[6] .

– المراسيل[7] .

(ب)

البَخارى ، أَبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦ هـ) .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣١٢ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٢ ، ص ٦٨٩ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ٣٧٣ .
(٤) ابن عربى . الفتوحات : س ٨ ، ص ٣٦٤ .
(٥) ابن عربى . المصدر نفسه : س ٩ ، ص ٣٦٦ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٩ ، ص ٢٥١ ، ٣٧٦ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ١٠ ، ص ١٧٥ ، س ١١ ، ص ١٣٥ .

- الجامع الصحيح[1] .

(ت)

الترمذى ، أبو عيسى محمد بن عيسى السُّلمى (ت ٢٧٩ هـ) .

لم يُعَيِّن له تصنيفًا ، بل أشار إليه فى قوله : « وحديث (سَوْقُ الجَنَّة) ذكره أبو عيسى الترمذى فى مُصنفه »[2] . ولعله « السُّنن » .

(ح)

الحُمَيْدِى ، أبو عبد الله محمد بن أبى نصر القرطبى (٤٨٨ هـ) .

- « كتاب » المُوَازنة : فى الجَمْع بين الصَّحيحين[3] وقد جَرَّح حديثه فى قوله : « لم يَثبتْ »[4] .

(خ)

خِراش ، عبد الله - خادم أنس بن مالك ..

- صحيفة خِراش = كتاب نُسخة خِراش : أربعة عشر حديثًا عن أنس بن مالك »[5] .

وعنه تصدر مقولة « ابن عربى » النَّقدية : « خِرَاشُ هذا كان مَجْهُولاً ، لأنه كان يُحَدِّثُ من صحيفةٍ كانت عنده ، وهذا الحديثُ منها . والذى يرويها عنه ضعيف ، كذَا ذكرَ شيخُنا أبو محمد عبد الحق »[6] .

(د)

الدَّارُقُطْنِى ، أبو الحسن ، على بن عمر بن أحمد بن مهدى (ت ٣٨٥ هـ) .

لم يُعين كتابًا له ، بل قال « فى كتابه ... »[7] . ولعله يشير إلى « السُّنَن » .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٤٣ ، س ٢ ، ص ١١٤ ، س ٤ ، ص ٤٦٨ ، س ٥ ، ص ١٠٨ ، ١٥١ ، س ٧ ، ص ١٥٦ ، ٢٩١ ، س ٨ ، ص ٧٥ ، ٣٧٦ ، ٤١٠ ، س ٩ ، ص ٤٠٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، س ١٠ ، ص ١٢٨ ، ١٣١ . س ١١ ، ص ١٠٥ ، ١١٣ ، ٣٨٥ . مج ٢ ، ص ٢٥٣ .

(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣٢٣ .

(٣) الكِتَّانى . الرسالة المُستطرفة : ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١١ ، ص ٥٦ .

(٥) ابن خَيْر . فهرسة ما رواه عن شيوخه ... : ص ١٦٢ .

(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٩ ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٨ ، ص ٣٥١ .

(م)

مُسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القُشيرى النِّيسَابُورى (ت ٢٦١ هـ) .

- الجامع الصحيح[١] .

(ن)

النَّسَائى ، أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شُعيب بن على بن سنان (٣٠٣ هـ) .

- السُّنن[٢] .

(ب) التصانيف الفِقهية :

ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسى الظاهرى (ت ٤٥٦ هـ) .

- المُحَلَّى :

يحمل عنه مَذْهبه فى « النهى عن الصيام بعد النصف من شعبان »[٣] ويروى عنه حديث « لا حَجَّ لِمَنْ لَمْ يَتَكَلَّم »[٤] .

ابن المُنْذِر ، أبو بكر ، محمد بن إبراهيم النيسابورى الشافعى (ت ٣١٨ هـ) .

- « كتاب » الإشراف فى اختلاف العلماء على مذاهب أهل العلم على مذاهب الأشراف = الإشراف فى الخِلاَف[٥]. نَقل عنه المسائل الخِلاَفية فى « وقت صلاة الوتر »[٦] .

٢ - فى الفكر الفَلْسَفى :

(أ) فى علم الكلام :

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٢٩١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، س ٤ ، ص ٤٠٣ ، ٤٦٣ . س ٥ ، ص ٢٠٥ ، ٢٤٦ . س ٦ ، ص ٢٧٦ ، س ٧ ، ص ٢٧٢ . س ٨ ، ص ٣٣٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٤١ . س ٩ ، ص ٩١ ، ١٠٠ ، ٢٣٥ ، ٢٦٠ ، ٣٧٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ . س ١١ ، ص ٥٢ ، مج ٢ : ص ١٥٣ .

(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ٩ ، ص ٨٣ ، ١١٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ٩ ، ص ٣٨٤ .

(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١١ ، ص ١٤٥ .

(٥) سزكين . تاريخ التراث العربى : جـ ٢ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٧ ، ص ٢٦٠ .

السَّلاَوى الضَّرير ،

– « الأُرجوزة فى علم الكلام » .

وقد أُخذَ عنها فى نقده لموقف المتكلمين فى المعرفة الإلهية [1] .

(ب) فى فلسفة الوجود الكونى :

ابن السِّيد البَطَلْيَوْسِى ، عبد الله بن محمد (٥٢١ هـ) .

– الحدائق فى المطالب العالية الفلسفية العويصَة[2] = « كتاب » الدَّوائر[3] . هذا الأثر أشار إليه « ابن عربى » فى مقولته عن سِرِّ المنازل « أو تجليات الحق فى الصُّوَر » فلولا تَجلِّيه لكل شَىْءٍ ، ما ظهرَتْ شَيْئِيةُ ذَلِك الشَىْءِ[4] » ثم يتخذ من « البطليوسى » نَبْعًا برهانيًا لرؤيته حين يقول : « ورأيتُه لابن السِّيد البطليوسى فى كتابٍ ألَّفه فى هذا الفن » [5] .

جَالينُوس – « كتاب » الأُسْطُقُسَّات .

حين يشير « ابن عربى » إلى « الموجود الخامس » وهو أصل الأَركان فى أفلاك العناصر وأفلاك الحروف ، إنما هو يصور مذهبه فى هذا الشَّأْن ، فيقول : « وفى هذا خلاف ، بين أصحاب علم الطبائع ، عن النَّظر . ذكره « الحكيم » فى « الأُسْطُقُسَّات » ولم يَأْتِ فيه بشىءٍ يقف الناظر عنده »[6] .

وهذا اللفظ يَرِدُ كذلك فى قوله : « فالماءُ أصلُ العناصر والأُسْطُقُسَّات والعَرْش والمُلْك ، وما تَمَّ المُلْكُ وكَمُلَ إلا فى عالم الاستحالة ، وهو عالم الأَركان الذى أصله الماء ... »[7] .

والأسطقسات أربعة : « النار والهواء والماء والأَرض ، وتُسَمَّى : العنَاصر »[8] أما الأُسْطُقُسَ فهو « الشىءُ البسيطُ الذى منه يتركب المُركب ... كالحروف

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٣٩٨ .

(٢) ابن السِّيد . شرح المُختار من لزوميات أبى العلاء (مقدمة التحقيق) : ق ١ ، ص ٢٠ .

(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ١٩٥ ، هـ ٧ .

(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ١٩٣ .

(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ١٩٥ .

(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٥٠ .

(٧) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٨) الخوارزمى . مفاتيح العلوم : ص ١٥٩ .

التي منها يتركب الكَلام ، وكالواحد الذى منه يتركب العدَد ، وقد يُسَمَّى الاسْطُقُس : الرُّكْن »[1] .

« فابن عربى » لم يُعَيِّن الحكيم الذى يُشير إليه ، وربما قصد بذلك « جَالِينوس »[2] . وقد وضع « جابر بن حيان » الصوفى « اسْطُقُس الآس الأول » .

و « أسطقس الآس الثانى » « اللَّذين صنفهما للبرامكة »[3] كما ألفَّ « إقليدس » كتاب « الأسطقسات » وأعطى فيه « أصولاً كثيرة فىَ علم العدد »[4] مثلما أخرَج « بُرُقْلُس » سفره « الأسطقسات الإلهية »[5] .

٣ – فى التراث الشعرى :

أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائى (ت ٢٣١ هـ) .

ديوان الحماسة[6] .

٤ – فى التنظير النَّحْوى :

الزَّجاجى ، أبو القاسم عبد الرحمن (ت ٣٣٩ هـ) .

(الجُمَل ...)[7] .

٥ – المعرفة الصوفية :

(أ)

ابن بَرَّجَان ، أبو الحَكم ، عبد السلام بن عبد الرحمن الإشبيلى (ت ٥٣٦ هـ) .

الإحالة : إلى « كتاب » له[8] .

والمراد من ذلك « تفسيره للقرآن » : « إيضاح الحِكمة »[9]

---

(١) الخوارزمى . المصدر السابق : ص ١٥٨ – ١٥٩ .
(٢) جالينوس . الأسْطقسات : ص ٩ – ١٣ .
(٣) النديم . الفهرست : ص ٥٠٠ .
(٤) ابن سينا . الشفاء (الحساب) : ف ٢ ، ص ١٧ .
(٥) جورج قنواتى – الفلسفة وعلم الكلام والتصوف (تراث الإسلام) : ف : ٨ ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٨ ، ص ٤٤٤ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٥٩ .
(٨) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٦٨ .
(٩) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٦٨ ، هـ٢ .

ابن العَرِّيف ، أبو العباس ، أحمد بن محمد الصِّنهاجى (ت ٥٣٦هـ) .

– « كتاب » مَحاسِن المجَالس .

الإشارات إليه فى :

(أ) مقولته فى علم تجريد التوحيد : بأنه ليس بين الحَقِّ والخَلْق ، « نَسَبٌ إلا العِنَاية ، ولا سببٌ إلا الحُكم ، ولا وقتٌ غيرَ الأزل ، وما بقىَ فَعَمىً وَتلْبيس »[١].

(ب) ويتخذه نَبْعًا وثَقيًا فى « منزل الابتداء » وأحكامه .

« فما ثَمَّ نَسَبٌ إلا العِنَايةُ »[٢] .

(جـ) ويرد ذكره فى الباب الرابع والخَمسين : فى معرفة الإشارات » .

حين يقف الشيخ عند مقولته « الإشارةُ نِدَاءٌ على رَأْس البُعْدِ ، وبَوْحٌ بعين العِلَّةِ »[٣] .

ابن قَسِىٍّ ، أبو القاسم ، أحمد بن حسين الأندلسى (ت ٥٤٦هـ) .

– « كتاب » خَلْع النَّعْلَين والتماس النور من موضع القَدَمين .

الإحالات :

(أ) يتخذ منه مَوْثِقًا لـ« دَوْرة المُلْك والسيادة المحمدية »[٤] .

(ب) عرضَ لنقد مذهبه فى « المعَاد » ، فى الباب الرابع والستين : معرفة القيامة ومنازلها وكيفية البعث »[٥] .

(جـ) وفى هذا الموطن نقد لنهج « ابن قَسِىّ » فى المَسألة الميزانية »[٦] .

أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصبهانى (ت ٤٣٠هـ) .

– « حِلْيَة الأولياء » .

اتخذه مصدَرًا له فى « حديث الولاية وصفة الأولياء »[٧] .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ص ٩٢ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ١٢٥ .
(٣) ابن عربى . المصدرالسابق : س ٤ ، ص ٢٦٣ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٢٩٧ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ٤ ، ص ٤٥٣ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ١١ ، ص ١٦١ – ١٦٢ ، مج ٢ ص ٦٨٦ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٥ ، ص ٢٥٠

(ح)

الحكيم الترمذى ، أبو عبد الله ، محمد بن على بن الحسن (ت ٣٢٠هـ) .

– « ختم الأولياء » .

فيه يكشف الشيخ عن دلائل الحقيقة العيسوية ، ويشير إلى أن صاحبها يُمثل « ختم الأولياء » فى الأُمة المحمدية ، وقد جُمِعَ له بين الولاية والنبوة ظَاهِرًا[١] . كما ذكرَ « المَسائِل »[٢] .

(ذ)

ذو النون المصرى ، أبو الفيض ، ثوبان بن إبراهيم الإخميمى (ت ٢٤٦هـ) .

– « المسَائِل » .

من مصادره فى « تَغَيُّر أحوال العارف »[٣] .

(س)

السُّلَمى ، أبو عبد الرحمن ، محمد بن الحسين (ت ٤١٢ هـ) .

– « مقامات الأولياء » .

الإشارة فيه إلى « باب الكَرامات » ، لبيان أثر القوة النفسية فى كرامة الوَلىّ[٤] .

الغزالى ، أبو حامد محمد بن محمد الطوسى (ت ٥٠٥هـ) .

(أ) « كتاب » كيمياء السَّعادة .

(ب) « المُسْتَظْهِرى : فى الرد على الباطنية .

(أ) فى « الكيمياء » انتصارٌ لأبى حامد فى فَرْقِه بين النبوة العامة ووحْيِها ونُبوة التشريع الخاصَّة وحكم رسالتها »[٥] .

(ب) أما « المُستَظْهِرى » ففيه نقض لمذاهب البَاطنية ، وتحقيق لمذهب « الشيخ الأكبر » فى الجمع بين الطَّرفين ، وهو يُفصح عنه فى مقولته : « والسعادة كل السَّعادة . مع الطائفة التى جمَعت بين الظاهر والباطن . وهم العلماءُ بالله وبأحكامه »[٦] .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٢ ، ص ٣٩ .

(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ٨ ، ص ٤١٠ ، مج ٢ ، ص ٦٨٦ .

(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ٤١٦ .

(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ١١ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ .

(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٥ ، ص ١٥٩ .

(ف)

الفَاسى ، محمد بن قَاسم بن عبد الكريم التيمى .

– « كتاب » المُستَفاد فى ذكر الصالحين والعُبَّاد بمدينة فاس وما يَلِيَها من البلاد : فى تراجم أعلام الصوفية فى المغرب الإسلامى .

– ويَطْلُبُه فى إشارته إلى الفلسفة الأخلاقية عند أهل الفُتُوَّة والمَلاَمية[1] .

(ق)

القُشَيرى ، أبو القاسم ، عبد الكريم بن هوازن (ت ٤٦٥هـ) .

(أ) « الرسالة » .

(ب) كتاب فى ذِكر العالم الآخر .

(أ) أشار إلى « الرسالة »[2] وأخذ عنها مقولة « أبى العباس السَّيَّارِى » : « ما الْتَذَّ عاقلٌ بمشاهدةٍ قَطّ ، لأن مشاهدة الحَقِّ فَناءٌ وليس فيها لَذَّةٌ ، ثم يُوازن بين مقام السَّيَّارى هذا ومقام الشهاب السهروردى » فى قوله : « أينَ هذا الذوق من ذَوْقِ الشهاب ؟ « وهو الذى يرى الإنسانَ جَامِعًا بين المُشَاهدة والكَلام[3] .

(ب) أما الكتاب الآخر فلم يُثبت له عُنوانًا ، واكتفى بقوله : « ذكرَ فى بعض كُتبه » وهو يعرض للحياة النفسية بعد الموت »[4] .

وأظنه سفره التأويلى « لطائف الإشارات » .

(م)

المكى ، أبو طالب ، محمد بن على الحارث (ت ٣٨٦ هـ) .

– قُوت القلوب ..

الإشارات المصدرية : ذكر الشيخ « القوتَ » فى :

(أ) بيان مذهب « المكى » فى معرفة أسرار الحركات الجسمانية والروحانية »[5] .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ٤ ، ص ٦٩ – ٧٠ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ٨ ، ص ٥٧ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ٩ ، ص ٣٨٩ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٣ ، ص ٣٥١ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(ب) الاستدلال على « سَعَة التجلى الإلهى » فقد . اخْتَلَفتْ المقاصد لاختلاف التَّجَليات »[1] كما عَرَّجَ عليه فى « أسرار البدّلية »[2] .

النفرِى ، محمد بن عبد الجبار (ت ٣٥٤ هـ) .

« كتاب » المَواقف . وتارة « المواقف والقَول »[3] .

مواضع الإحالة :

(أ) فى معرفة أسرار فاتحة الكتاب .[4]

(ب) فى « معرفة أهل اللَّيل : ب ٤١ »[5] .

(جـ) وفى صِفته يقول : « وقفتُ على أكثره . وهو كتاب شريف ، يَحْوى على علوم آداب المقامات »[6] .

(د) الإسفار عن حقيقة مذهب النفَّرى فى مَيْل الإنسان الطَّبْعِى ، وتَرَدُّده بين الحَقّ والخَلْق ، والحَقّ والحَقّ من حيث الأسماء الإلهية . فهو لسانُ المِيزان ، الذى يلزمه الميل إلى جانب دَاعى الحَقّ »[7] .

رابعًا : الظواهر الفكرية والعَقَدية :

١ – نظرية المعرفة الأكبرية :

يُقيم الشيخ الأكبر نظريته فى المعرفة الصوفية على أُصلين : معرفة إلهامية لَدُنِّيَة وأُخرى كَسْبِية عقلية . وهو يُصنف علومها فى مراتب ثلاث : علم العقل ، وعلم الأحوال ، ثم علم الأسرار .

(أ) **فالعلم العقلى** : لا يغادر النظر البرهانى ، وفى هذا النظر ما هو صحيح وما هو فاسد[8] فهو بين حَدَّى الإخصاب الابتكارى والعُقم الجِدَارى .

وتبدو ثقافة الحكيم الصوفى الكلامية والجَدلية ، فى صُوَرِهِ النَّقْضِية لشيعة المنطق

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ٤ ، ص ١٩٠ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ٤ ، ص ٢٥٦ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ٦ ، ص ٨١ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ٢ ، ص ٢٠٤ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ٤ ، ص ٣٨ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ٦ ، ص ٨١ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٩ ، ص ١٧٤ .
(٨) ابن عربى . الفتوحات س ١ ، ١٣٩ .

الوضْعى ، وقد رأى فيه تَشْغِيبًا على أهل السلوك فى مداجهم ومعارجهم ، فخرج عن دائرة التصنيف فيه بعدما رَغبَ فيه ، وهو يشير إلى عِلَّة ذلك فى مقولته « وربما وَقَع عندى أنْ أجْعَلَ فى هذا الكتاب ، أولاً ، فَصْلاً فى العقائدِ المُؤَيَّدة بالأدلة القاطعة والبراهين السَّاطعة . ثم رأيتُ أنَّ ذلك تَشْغِيب على المُتَأَهِّب ، الطَّالبِ للمزيد ، المُتعرِّض لنفَحات الجُود بأسرار الوجود . فإن المتَأَهِّبَ إذَا لَزِمَ الخُلوة والذِّكر ، وفَرَّغَ المَحَلَّ من الفِكر ، وقَعَدَ فَقيرًا لاشيءَ له ، عند باب رَبِّه ، حينئذٍ يمنحه الله تعالى ، ويعطيه من العِلْم بِه ، والأسرار الإلهية والمعَارف الربانية »[1] .

فهو يجمع بين معرفة العَقْل ومعرفة الوجدان ، بين الشِّعاب والمَسالك وبين غاية الغايات الكَشْفية ، وهو إلى الحقيقة اللَّدُنية أشَدُّ طَلَبًا وأوثقُ رغبةً .

(ب) وعلم الأحوال : يمثل بَرزخًا وجوديًا بين العِلَّة العقلية والجوانية القَلْبية ، وهو مَحَلُّ التَّعين الوجدانى ؛ ذلك أن هذه الطبيعة الحَالِيَّة « لا سبيلَ إليها إلاَّ بالذَّوْق ، فلا يقدر عَاقِلٌ على أن يَحُدَّها ، ولا يُقيم على معرفتها دَليلاً البَتَّة . كالعِلْم بحلاوة العَسَل ، ومرارة الصَبْر ، ولَذَّة الجِماع والعشق والوجدِ والشَّوق ، وما شَاكلَ هذا النوع من العلوم . فهذه علومٌ من المُحَال أنْ يعلمها أحَدٌ إلا بأنْ يتَّصفَ بها ويَذُوقها »[2] وهى تَتَباين وتَتَشاكل على حَسَب صِحَّةِ صاحِبِها وعلِتِّه ..

(جـ) أما علم الأسرار : فهو خارج عن منطق القصور العَقْلى ، فى طبيعته الغَيْبِية الغَائبة عن المِثْلِيَّة ، وحاملُه من أهل الصفوة الرَّبانية فى رسالته أو مقام ولايتَه ، ويشير الشيخ إلى ماهيته وأصنافه وحكمته فيقول :

« هو العِلم الذى فوق طور العقل . وهو عِلْم نَفْث روح القدُس فى الرُّوع ، يَخْتَصُّ به النَّبِى والوَلِىُّ .

وهو نوعان : نَوْعٌ منه يُدرَك بالعقل ، كالعلم الأول من هذه الأقسام ، لكن هذا العَالِمُ به لم يحصل له عن نظر ، ولكن مرتبة هذا العلم أُعْطَت له . والنوع الآخر ، على ضَرْبين : ضَرْبٌ منه يُلتحق بالعلم الثانى ، لكن حاله أشرف ؛ والضرب الآخر : هو من قبيل علوم الأخبار ، وهى العلوم التى يدخلها الصدق والكذب بذاتها ، إلا أن يكون المُخْبِرُ به – أى بعلم الأخبار –

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٣٨ .

(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٣٩ .

قد ثَبَتَ صدقُه عند المُخْبَر ، وثَبَتَتْ عصمتُه فيما يُخْبِرُ به وَيقُولُه ؛ كإخبار الأنبياء – صلوات الله عليهم – عن الله[1]... .

هذا العِلمُ العرفانى فى أَسَراره الكَشفية ومناز له الحَقِّية يُمثل عقيدته الجُوَّانية ، وفيه يُدرِكُ أَسرارَ إعراض المُشركين والمُنكِرين ؛ فغَيبةُ الحسِّ عن « علم الأَسرار » هى عِلَّةُ الخروج عند من غَلَبتْ عليه كثافةُ عُنصره ، وظُلمة هَيْكله .

والعَالمُ بهذا العلم قد أُوتِى الحِكمةَ وفَصْلَ الخِطاب ، فهو « يَعْلَمُ العُلُومَ كُلَّهَا ويَسْتَغْرقها . وليس صاحب تلك العلوم الأُخرى كذلك . فلا علم أشرف من هذا العلم المُحيط ، الحاوى على جميع المعلومات »[2] .

والشيخ حين أَسفر عن طبيعة هذا العلم وفلسفته ، فهو يراه خاتمة علوم المحققين ، إليه الظَّعن والرحلة ، وفيه الغيثُ والروُيَا .

وهذا التصنيف المعرفى فى مراتب علومه الثلاث ، يتخذه « ابن عربى » نِبراسًا لتأسيس نظريته فى العقائد الفكرية وطبقات أَهلها المذهبية .

ويبدو ذَلِك على هذا النَّحْو :

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٤٠ .

(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٤٠ .

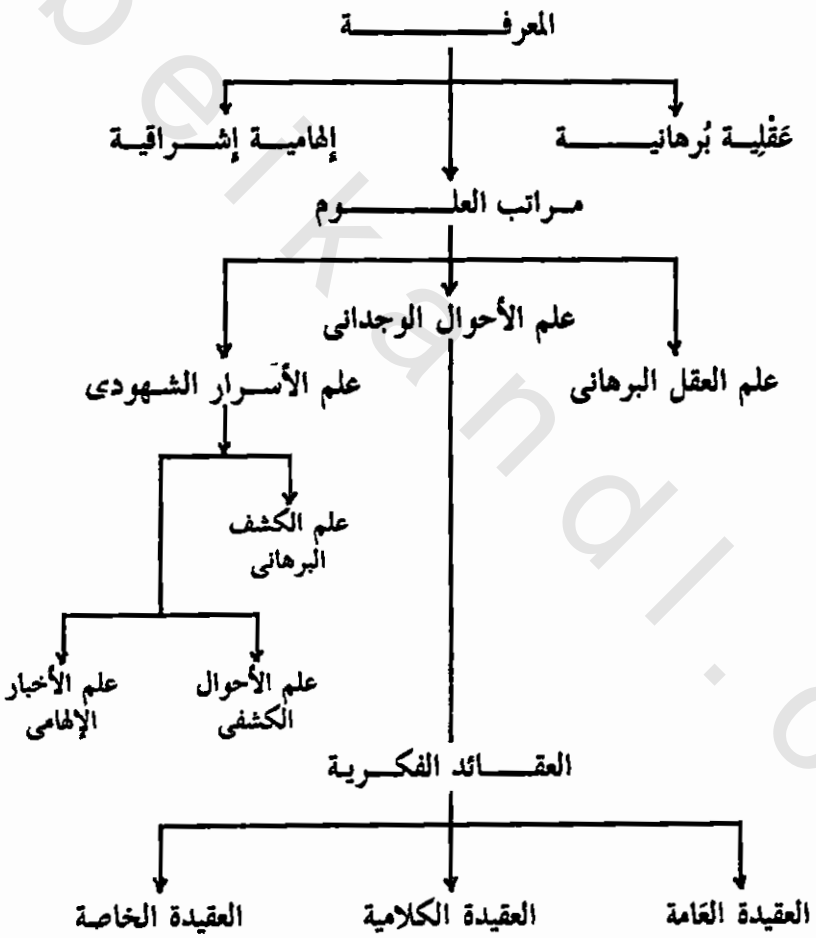
المعرفة
عَقْلِية بُرهانية
إلهامية إشراقية
مراتب العلوم
علم الأحوال الوجداني
علم العقل البرهاني
علم الأسرار الشهودي
علم الكشف البرهاني
علم الأحوال الكشفي
علم الأخبار الإلهامي
العقائد الفكرية
العقيدة العَامة
العقيدة الكلامية
العقيدة الخاصة

٢ – فى الفكر العَقَدى :

يُصنف « ابن عربى » مذاهب المسلمين العقدية فى طبقات ثلاث : عقيدةٌ يتعشقها العامة ، وأُخرة يحوم حولها علماء الكلام ، ثم عقيدة أهل الحق من الصوفية .

(أ) العقيدة العَامِيَّة :

هذه الطبقة العقائدية يأخذ شيعتها بظاهر النَّص ، لا يطلبون تأويلاً له ، فهم من « أهل التقليد وأهل النظر »[١] ، وقد بقيت عقيدتهم على صحتها وسلامتها لبقائهم ، « على صِحَّة الفطرة »[٢] ، وفرارهم من أسر التأويل العقلى ، الذى أقام عند أطلاله أهلُ الكلام ، وقد طلبوا « البرهانَ على صحة هذه المعانى بالعَقْل ، وقد دَلَّ على صحة هذا اللَّفظ »[٣] وهو فى هذا ينتصر لعقيدته الظاهرية ، وقد سَطَّر بيَراعِه شهادَته الاعترافية[٤]

(ب) العقيدة الكلامية :

وهذه العقيدة الجدلية ، يصف « الحاتمى » أصحابها بأنهم لا رسوخ لهم فى المعرفة ، وقد أخذوا طَرَفًا منها أعجبُوا به ، فملِكَ عليهم نَاصيةَ أمرهم ، فهم نَاشِيةٌ شَادِية . والناشىء : هو الحَدَثُ الشَّاب حين نَشَأَ أى ابتدأ فى الارتفاع عند حَدِّ الصبى إلى حَدِّ الإدراك » .

والشَّادى : هو « الذى قد شَدَا شيئًا من العِلْم ، أى أخذَ منه طَرَفًا وتعلَّمه ... وكَأَنَّ الشادى المبتدئ بالأَخْذِ من الشىء »[٥] .

وهو قد صَنَّفَ فى نَقْضِها اختصاره « الاقتصاد » فى الاعتقاد ، أوجزَ فى عِبارته ، ونَبَّه على مآخذ أدلتها ، ليستخرج رسالته « المعلوم من عقائد أهل الرسوم » ، وقد دَعَاها كذلك عقيدةَ النَّاشِية الشَّادِية »[٦] .

وحين ينظر فى هذا العلم الكلامى ، نراه يُشير إلى علة وجوده ، وقضاياه التى يطوف بها ، ثم يعكف على تَفْنِيدها والرد عليها .

١ – عِلَّةُ النشأة الكلاَمية :

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٧٣ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٥٤ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٥٦ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٦٢ – ١٧٣ .
(٥) الجَوالِيقى . شرح أدب الكاتب : ص ٢٠ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ص ١٧٣ .

ما قام هذا العلم إلا لدفع شُبهات منكرى النُّبوة المحمدية ، والرد عليهم بأدلة مَنْطقهم ، فـ « علماء هذا العِلم ... ما وضَعُوه ، وصنَّفُوا فيه ما صنَّفُوا ليُثبِتُوا فى أنفسهم العِلم باللَّهِ ، وإنما وضعوه إرْدَاعًا للخُصُوم ، الذين جحَدُوا الإله أو الصفات أو بعض الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد – ﷺ – خاصةً ، أو حدوث العَالَم ، أو الإعادة إلى الأجسام بعد الموت ، أو الحشر والنشر ، وما يتعلق بهذا الصِّنف ، وكانوا كافرين بالقرآن مكذبين به ، جَاحدين له . فطلبَ علماءُ الكلام إقامةَ الدليل عليهم ، على الطريقة التى زَعَموا أنها أدَّتْهم إلى إبطال ما ادَّعَيْنَا صِحَّتَه خاصةً . حتى لا يُشَوِّشُوا على العَوَام عقائدَهم »[1] .

فهو علمٌ ما وضُع لاعتقاد المُسلم ، وهو بمنزلة الطِّب ، يكفى الواحد معرفته ، فكيف بمن يُكَفِّر من تَركه ، وهو من العلوم الوَسَلِية الدَّارِسَة ، افتقَد علةَ قِيامه ، ومضَتْ دورةُ الجدَل والمُناظرة ، وهؤلاء الخُصوم الذين يَبْتغى المتكلم رَدْعَهم « لم يُوجد لهم عَيْنٌ »[2] . فكأنه يقول بخَصْمٍ مُتَوَهَّم « نقطع الزمانَ بمجادلته ، وما رأينا له عَيْنًا ، ولا قال لنا شيئًا ! وإنما نحن مع ما وقَعَ لنا فى نفوسنا ، ونتخيلُ أنَّا مع غيرِنا »[3] .

٢ – القضايا الكلامية :

وأهل هذه العقيدة « الناشئة الشادية » قد « تجَاوروا فى العلوم ، والفَرْق بين الأسماء والرُّسوم »[4] لهذا يسوق « ابن عربى » مُحاورته بين النماذج الأربعة للفِكر الكلامى فى الأمصار المغربية والمشرقية والشامية واليمنية[5] ، وفى هذه المحاورة يكمن جوهر هذا العلم وتتراءى أُصُوله وتُعرفُ قضَاياه ، ليُدْرَكَ منهاجُ نقده ، وموطن عِلَّتِه .

ويستهل هذه المحاورة العقَدية بين أعلام المَذْهب الكلامى ، بقوله :

« فقال المغربى : عندى من هذا العِلْم ، العِلْمُ بالحَامل القائم .

وقال المشرقى : وعندى منه ، العِلْمُ بالحامل المحمول اللازم .

وقال الشامى : عندى من هذا العلم ، علم الإبداع والتركيب .

وقال اليَمنى : عندى من هذا العلم ، علم التخليص والترتيب .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٦٠ .

(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٦١ .

(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٧٤ .

(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٧٥ – ١٨٦ .

ثم قالوا : ليُظْهِر كُلُّ واحدٍ مِنَّا ما وعَاهُ ، ولْيَكْشِف عن حقيقة ما ادَّعَاه »[1] .

وحين يختتم هذه المحاورة الكلامية ، يقول – على لسان الشَّادِى : « فَوَفَّى كُلُّ واحدٍ من الأربعة ما اشْتَرط ، وانْتظَمَ سِلْكُ الوجود وارتَبط »[2] .

٣ – نقد المذهب الكلامى :

وفى نقد « الحاتمى » للمقولات الكلامية ، يعرض لها من خلال عقيدة أهل الاختصاص[3] ، وكأنه يضرب الحَقَّ بالباطل فيدمغه .

فيستهل منهاجه النقدى ببيان الحد العَقْلى « فإنَّ للعقول حَدًا تقف عنده من حيث ما هى مُفَكِّرة ، لا من حيثُ ما هى قَابِلَة . فنقولُ فى الأمر الذى يستحيلُ عَقْلاً : قد لا يستحيلُ لنِسْبَةٍ إلهية ، كما نقول فيما يجوزُ عَقلاً : قد يَسْتَحيل لنسبةٍ إلهية أيضًا »[4] .

ثم ينقض دعائمهم فى كَسْبية العلم التَّصورى بالنظر الفكرى « لأن المعانى كُلَّها مَرْكُوزةٌ فى النَّفْس ، ثم تتكَشَّف مع الآنات ، حَالاً بعد حَالٍ »[5] .

ومن خلال هذا المنهج النقدى ، يصور الشيخ علة العَقْل وعُقمه فى ولوج بَابِ الحقيقة ، ويسفر عن بَوْحه المذهبى ، منتصرًا لعقيدة أهل الحق من خُلاصة الخَلْقِ وخَاصَّتِهم .

(جـ) العقيدة الاختصاصية :

١ – طبيعتها :

وهى عقيدةُ خواص أهل الله ، أهل الكَشْف والجود ، وقد جَرَّد لها « ابن عربى » من بين تصانيفه « كتاب » المعرفة[6] .

وبيانُ حقيقتها عَزيزٌ لديه ، وهو يَطْويها بين جَنَباته ، يحفظ سِرَّها ويرعى أمانتها ، وتُردُّ عِلَّةُ سِتْره لها إلى مصدرين : أحد هما يمس طبيعتها ، والآخر يتعلق بموقف أهل المنطق العقلى ، وهذا الصراع المَذْهبى بين أهل الإشارة وسدَنةِ العِبارة .

أما صفة طبيعتها فتحملها مقولته « وأما التصريح بـ عقيدة الخُلاَصة ، فما أفردتُها على

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٧٤ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٨٦ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٨٧ – ٢١٣ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٨٧ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٩٧ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٧٣ .

التّعين ، لما فيها من الغُموض ، لكن جِئتُ بها مبدَّدَةً فى أبواب هذا الكتاب ، مُسْتَوداةً مُبَيِّنَةً . لكنها – كما ذكرنا – مُتفرقة . فمن رزقه الله الفَهْمَ فيها ، يعرف أمرها ، ويُميزها من غيرها . فإنها العلمُ الحق ، والقولُ الصَّدق . وليس وراءها مَرْمى . ويستوى فيها البَصير والأعمى . تُلحق الأباعِدَ بالأدانى ، وتُلْحِمُ الأسافِلَ بالأعالى »[1] .

وأما المصدر الآخر للتقية المَذْهبية ، فيشير إليه فى قوله : وهى « أمْرٌ فوق هذا ، جعلناه مُبَدَّدًا فى هذا الكتاب ، لكون أكثر العقول ، المحجوبة بأفكارِها ، تَقْصر عن إدركه لعدم تجريدها »[2] .

ويتخذ « ابن عربى » لأصول المعرفة الصوفية سنَدًا شرعيًا ، فيذهب إلى القَوْل : « وقد تقصينا الشريعة ، فما رأينا فيها ما يُناقض ما قُلْناه »[3] .

٢ – خصائصها :

ويضع « الطائى » للعقيدة الصوفية فى نوريتها العرفانية وعلومها الإلهامية أُصولاً سبعة « من عرفَها لم يَعْتَص عليه شَيءٌ من علم الحقائق »[4] وهى :

(أ) معرفة أسماء الله تعالى .

(ب) معرفة التجلِّيات .

(جـ) معرفة خِطاب الحق عباده بلسان الشَّرع .

(د) معرفة كمال الوجود ونَقْصه .

(هـ) معرفة الإنسان من جهة حقائِقه .

(و) معرفة الكَشْف الخيالى .

(ز) معرفة العِللَ والأدوية .

فابن عربى قد جمع فى مذهبه بين الظاهر والباطن ، وساوقَ بين فكره الدينى والفلسفى والصوفى . فعقيدته الظاهرية أقام بنيتها وأشْهَدَ عليها ، وعقديته الباطنية لم يُمِط لثامه عنها ، بل غَيَّبَها وبَدَّدَها فى أسفار فتوحاته ، فلا تَراها إلاّ مُجَرَّدةً ، الرمزُ قُوتُها ، والإشارة مَنزِلُها .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٧٣ .

(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢١٣ .

(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢١٣ .

(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٥٣ .

وهو يرى أن « السعادةَ كل السعادة مع الطائفة التى جَمَعتْ بين الظاهر والباطن . وهم العلماء باللّه وبأحكامه »[1] .

٣ – المنهج الصوفى فى التراث الإسلامى :

يُصور « ابن عربى » نهجه الصوفى – وقد آثر أن يخلق تعادلية فكرية بين الظاهر والباطن ، وقد يلتزم بدائرة جوانيته فلا تجد لأحكام العقل إليه سبيلاً – فى تلك التصانيف التى أبرز وجودها ، وفى مقولاته النقدية التى استودعها قضاياه فى تجديد الفكر الدينى ، وهو يرى فقهاء السوء فى عصره يميلون مع السلطان كُلَّ الميل عن حقائق الشريعة وحدودها الربانية .

(أ) فى المنطق التصنيفى :

جمع صاحبنا فى « رسالة التصانيف » بين حَدّى مذهبه الظاهرى والإشراقى ؛ فهو يستهل كل طورمنها بالآثار الحديثية ليعرج إلى علوم الحقائق . فما علومُ التحصيلِ والرواية إلا سبيلٌ للوصول إلى وطن الحقيقة ومدينة الغايات الفاضلة .

ومن آثار مذهبه العرفانى فى التأويل القرآنى « كتاب : الجَمْع والتفصيل فى أسرار معانى التنزيل ، وهو من دلائل معرفته الإلهامية واغترافه من نهر التجلى الشهودى . وفى صفته إسفارٌ عن علوم أسراره ، فهو يقول عنه : « أكملتُ منه إلى قوله : « وإذْ قال موسى لفتاه لا أَبْرَحُ » . وجاء بديعًا فى شأنه ، ما أظنُّ على البسيطة من نَزَع فى القرآن ذلك المنزع وذلك أنى رتبتُ الكلامَ فيه على كل آية على ثلاثة مقامات : مقام الجلاَل أولاً ، ثم مقام الجَمال ، ثم مقام الاعتدال ، وهو البرزخ من حيث الورث المحمدى ، فهو مقام الكَمال ... »[2] .

وَبقى هذا السفر على حَاله ، لم يُتمه فقد شُغِل بخَضِرِ وَقْتِه ، وهو فى المقَام المُوسَوى .

وفى هذه المغرفة الكَشْفية ، نراه يروى بسنده عن الحق تعالى أحاديث قدسية ، فيَظهر كتاب « مشكاة الأنوار فيما رُوى عن الله تعالى من الأخبار »[3] . وقد « ضمنه الأحاديث القدسية المروية عن الله تعالى بأسانيده ، فجاءت مائة حديث وحديثًا واحدًا إلهية »[4] .

وهو يروى كذلك أحاديث ربانية بسندِ نَبِيِّه ، وهذا ما يُكنه سِفْرُه « الرياض الفِرْدوسية فى الأحاديث القدسية »[5] .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ٥ ، ص ١٥٩ .
(٢) ابن عربى . رسالة التصانيف (عنوان الدراية) : ص ١٦٤ – ١٦٥ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : ص ١٦٦ .
(٤) الكتانى . الرسالة المستطرفة : ص ٦١ .
(٥) حاجى خليفة . كشف الظنون : مج ١ ، ع ٩٣٧ .

فالإسناد فى هذا التَّلقَى الحقى ، يُستهل بنور الإلهية ، فواسطة العِقْد النَّبوى ، فهذَا الولىّ موطن التَّحقق ولَوْح التجلى .

(ب) فى المنهج النقدى :

ومن الظواهر التى شُغل بها فى آنيته المعاصرة ، وجُعلت من سمات منهجه النقدى لعلوم الفكر الدينى ، ما يتصل بالتفسير القرآنى ، وما يدور حوله حكم النَّسْخ الشرعى وعِلَّته ، وما يُحَدُّ به الاجتهاد وسُنته .

١ – النقد التفسيرى :

يرصد الشيخ من دلائل العقم فى مناهج المُفسرين فى القرن السابع الهجرى ، اتخاذهم المَأْثورات الفولكلورية والإخبارية التى تغمر أسفار العهد العتيق وصحائفه سندًا لهم وحجةً لبيانهم ، فيعمد إلى نقد هذه الوجهة الأُسطورية ، التى عُرفت بالإسرائيليات ، ويضَعُ للمذَكِّر سُنَّته التفسيرية فى تَحرِّى الصدق ، فلا « يتعرض لما ذكره المؤرخون عن اليهود من زَلَّاتٍ من أثْنَى الله عليهم واجتَبَاهُم ، ويجعلُ ذلك تفسيرًا لكتاب الله . ويقول قال المفسرون . وما ينبغى أن يَقْدُمَ على تفسير كلام الله بمثل هذه الطَّوَام ، كقصة يوسف وداود وأمثالهم – عليهم السلام – ومحمد – ﷺ – بتأويلات فاسدة ، وأسانيد واهية عن قَوْمٍ قالوا ما قَدْ ذكرَ اللّهُ عنهم »[١] .

هذه الرؤية المنهجية تمثل نبعًا من ينابيع نقده للرواية التاريخية، بالحُجة السافرة والبراهين القاطعة.

٢ – النَّسخ الشَرْعى :

والشريعة كالحضارة فى سيرتها بين أهلها ، تَعرفُ الغلبةَ والقهَر فى فتُوحها وسيرورتها ، مثلما تصيبها رياحُ العدمية لعجز أَهِلَّتِها وحَمَلَةِ قداستها . وإذا كان الشيخ قد كشف عن أسرار الشريعة الظاهرة والباطنة ، فقد أَلمح إلى عِلَلِ نَسْخِها ، التى تجوهرت عنده فى مفارقة شيعتها حدود ثُغورها ، وقد أتى فى عِلْمِ نَسْخِها بأمرٍ لم يُسبق إليه حيث أبرز مقولته فى نسخ الشريعة المحمدية وغيرها « بالأغراض النفسية »[٢] . وهى « المَحَجَّةُ البيضاءُ ، محجَّةُ السُّعدَاء وطريق السعادة ، فمن مشَى عليها نَجَا ومن تركها هَلَكَ »[٣] .

---

(١) ابن عربى . الفتوحات : مج ٢ ، ص ٢٥٦ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٣ ، ص ٦٨ – ٧٢ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٣ ، ص ٦٩ .

ويُسفر عن عِلل النسخ الشرعى ، فيما ساد بين فقهاء السوء من إيثار الخَلْق على الحَق ، فلما « غَلَبتْ الأهواءُ على النفوس ، وطَلبتْ العلماءُ المراتبَ عند الملوك ، تركوا المحجةَ البيضاء ، وجنَحوا إلى التأويلات البعيدة ، ليُمشوا أغراض الملوك فيما لهم فيه هوى نَفْس ، ليستندوا فى ذلك إلى أمرٍ شرعى ، مع كَوْن الفقيه ربما لا يعتقد ذلك ويُفْتِى به ... »[1] .

هذا الصراع النفعى بين السلطة الزمانية والروحية ، هو عين الخروج عن حدود الحق ، والتردى فى أودية السقوط الماكرة ، حتى يأتى أمر الله .

٣ – النقد الأصولى فى المنطق الصوفى :

وإذا كان الشيخ الطائى قد عُدَّ من أهل الولاية والقُطْبية عند طائفة من حَملة فكره العرفانى ، فهو من النُّجوم الفرقانية فى تجديد الفكر الدينى والمذهبى فى القرن السابع الهجرى[2] فقد ذَمَّ المُقَلِّدَة ، وانتصرَ لأهل النظر الفلسفى وإنْ أخْطَئُوا[3] .

ويَحُدُّ مناط الاجتهاد الدينى بالنظر إلى أمر الرسالة فى طبيعتها وسِرِّ تَنزُّلِها ، فَيُميز بين رسالةٍ انقطعَتْ لا سبيلَ للمرءِ إلا فى اقتفائِها ، وأخرى مُتَجدِّدة لا يغيض نبعُها ، ولا يَفْترُ فيضُها ، فهى فى دَيْمومةٍ رِوائية . فـ « الرسالة التى انقَطَعتْ ، هى تَنزُّل الحُكم الإلهى على قَلْب البشَر بوسَاطة الروح ... فذلكَ البابُ هو الذى سُدَّ ، والرسالةُ والنبوة التى انقطعت .

وأما الإلقاءُ بغير التشريع فَليس بمحجورٍ ، ولا التعريفات الإلهية بصحة الحكم المُقَرَّر أو فَسادِه فلم تَنْقَطع ، وكذلك تَنزُّل القرآن على قلوب الأولياء ، ما انقطعَ مع كَوْنِه محفوظًا لهم ، ولكن لهم ذَوْق الإنزال ، وهذا لبعضهم ... »[4] .

هذا الباب الذى يملك إقليده ، يمثل رؤية حضارية فى تأويل النص الدينى ، والاجتهاد حوله ، وفيه تَصْفِية للعَارِف من علائق الغَيْرية ، وتَطْهيرٌ لفكرِه من سَوْءَات ذَوى السلطان ، فيعرفَ حقيقة وجوده ، وطوالع إلْقَاء إلهامه ؛ فتفنى نفسهُ الأمارة ، ويبقى بروح نَفْسه المُلْهَمة .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٣ ، ص ٦٩ .
(٢) عبد المتعال الصعيدى . المجددون فى الإسلام : ص ٢٧٥ – ٢٨٢ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٣ ، ص ٧١ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٢ ، ص ٢٥٨ .

٤ – التراث الجدلى حول مذهبه العقَدى والفكرى :

(أ) المصادر الفكرية والمذهبية :

اختلفَ الناس وتباينَتْ مواقفُهم فى النظر إلى عقيدة « ابن عربى » قديمًا وحديثًا ، « ففرقةٌ تعتقد ولايته ، وفرقة تعتقد ضلاله ، وفرقة شَكَّت فى أمره »[١] .

وهذه الوجهة الخِلافية تلزمه فى النظر إلى مصادر معرفته الإسلامية والغَيْرية[٢] فهو يَنْهل من عين المَعين القرآنى والحديثى ، ويَفْقَه أُصول الفكر الكلامى والفلسفى ، ويُقيم عند أسرار مذهبه النورى والحقى .

وفى هذه المصادر الإسلامية تشكلت نظريته العرفانية ، واستَوتْ على سوق تكاملها لاستواء أغوار إبداعها التصورية والتَّحقُّقية .

وأما المُؤثرات الحضارية فقد استقى جل عَناصرها البنائية من خلال سيرورة هذه الآثار التراثية وانتشارها فى أمصار الحضارةَ الإسلامية .

ومن أشهر من وقف نفسه على حمل هذا الفكر الباطنى جماعة « إخوان الصفاء »[٣] فقد تأثر برسائلهم فى بِنْيَةِ مذهبه[٤] وفى تصنيف فَتْحِه[٥] .

وهو لم يَقْصُر هِمَّتَه على الجمع بين المؤثرات المشرقية[٦] والاتجاهات المَغْربية[٧] ، وإنما آثر الأَخْذ من هذه الينابيع كلها ، لتكونَ جراثيم لنظريته الفكرية والمذهبية ، التى أبدعها لِذاته واصطنعها لنفسه ، فلا تُنْسَب إلا إليه .

وقد خَلَّفَ فى الفتوحات « ثروةً طائلةً من المصطلحات الفلسفية الصوفية ، استمدها من كل مصدر عَرفَهُ ، كالقرآن والحديث وعلم الكلام والفقه والتصوف السابق عليه ، وفلسفة أفلاطون وأرسطو والرواقيين ورجال الأفلاطونية الحديثة والغنوصية والهرمسية ، كما استخدمَ مصطلحات شاعت فى أوساط الإسماعيلية الباطنية والقرامطة وإخوان الصفا .

---

(١) السيوطى . تنبئة الغَبى ... : و ١ ب .

(٢) أبو العلا عفيفى . من أين استقى محى الدين بن العربى فلسفته التصوفية ؟ م . كلية الآداب – القاهرة : مج ١ ، ع ١ ، ص ١٩ – ٢٠ .

(٣) أبو العلا عفيفى . المصدر نفسه : مج ١ ، ع ١ ، ص ٢٠ – ٢٢ .

(٤) مصطفى غالب . أعلام الإسماعيلية : ص ٥٠٥ – ٥٠٧ .

(٥) عباس العزاوى . محى الدين بن عربى وغلاة التصوف : ص ١٣٨ – ١٤٠ .

(٦) ابن الأهدل . كشف الغطاء ... : ص ٢٢٢ ، ٢٥٠ .

(٧) بلاثيوس . ابن عربى : حياته ومذهبه : ص ٢٧٤ .

ولكن مهما يَكُن المصدر الذى أُخذَ عنه ، فإنه صبغَ هذه المصطلحات كلها بصبغته الخاصة ، وأعطى لكل مصطلح ، معنىً جَديدًا يتمشى مع روح مذهبه .

ومَامِنْ صُوفى أتَى بعد ابن عربى–عربيًا كان أم فارسيًا أم تُركيًا –شاعرًا كان أو غير شاعر– إلا استعملَ لُغَته وكتب بوحىٍ منها، سواءٌ شاركه فى فلسفته فى وحدة الوجود أم لم يُشَاركه »[1].

(ب) التراث الجدلى :

من الآثار الجَدلية التى صُنفت حول مذهب ابن عربى فى مصادره وفلسفته ، تصانيف ينتصر أصحابها له ، ويذهبون إلى إثبات ولاية شَيْخهم ، وأُخرى تَمَكُر به وتَنْقُضُ عُرَاه ، وتَنفى عن أُرومته كل فَضْلٍ وفضيلة .

١ – التصانيف الانتصارية ، ومن بينها :

– ابن كَمال باشا (٩٤٠ هـ) .

نُبذة مُحَرَّرة فى حق محىِ الدين بن عربى . – مخ – سوهاج : مكتبة رفاعة رافع الطهطاوى ؛ ٢٣/مج[2] .

– البغدادى ، إبراهيم بن عبد الله (ت ٨٢١ هـ) .

الدر الثمين فى مناقب الشيخ محىِ الدين / تأليف إبراهيم بن عبد الله القارئ البغدادى ؛ حققه صلاح الدين المُنجد . – بيروت : ١٩٥٩ – .

– السيوطى ، جلال الدين (ت ٩١١ هـ) .

« كتاب » تنبئة الغبى بتبرئة ابن العربى . – مخ – . القاهرة : دار الكتب ؛ ٢٩٢٠/مج – تصوف[3] . استانبول : لا له لى ؛ ٣٦٥٤[4] .

– عمر أحمد العطار .

الفتح المبين فى رد اعتراض المُعترض على محىِ الدين . – القاهرة : المط . الخَيْرية ، ١٣٠٤ هـ .

– محمد رجب حلمى .

البرهان الأزهر فى مناقب الشيخ الأكبر . – ط ، ١٣٢٦ هـ . كما وُضِعت بها مشه ترجمته التركية[5] .

---

(١) أبو العلا عفيفى . الفتوحات المكية (تراث الإنسانية) : مج ١ ، ص ١٦٨ .

(٢) لا تزال الإشارة إليه فى فهرست هذه الخِزَانة ، وإنْ عُدَّ من الآثار المفقودة .

(٣) فهرس دار الكتب : جـ ١ ، ص ٢٨١ .

(٤) عباس العزاوى . محى الدين بن عربى وغلاة التصوف (الكِتَاب التذكارى) : ص ١٤٧ .

(٥) عباس العزاوى . المصدر نفسه : ص ١٤٧ .

- النابلسى ، عبد الغنى (ت ١١٤٣ هـ) .
الرد المتين على مُنتَقِصى العارف محيِ الدين . – مخ – القاهرة : دار الكتب ؛ ض/مج[١] .
٢ – التصانيف النَّقْضِيَّة ، ومن أشهرها :
- ابن الأهدل ، بدر الدين اليمنى (ت ٨٥٥ هـ) .
كشف الغِطاء عن حقائق التوحيد وعقائد المُوَحِّدِين وذِكر الأئِمة الأشعريين ومن خَالَفهم من المُبتَدعين ، وبيان حال ابن عربى وأتباعه المارقين/تأليف الحسين بن عبد الرحمن الأهدل ؛ نشره أحمد بكير . – تونس : مط . الاتحاد العام ، ١٩٦٤ .
- ابن طولون ،
تحذير العباد من الحلول والاتحاد[٢] .
- البَدْرِى ، أبو بكر بن عبد الله .
السيوف المشهورة فى ابن عربى وكلماته المَحْذُورة[٣] .
- البِقاعى ، إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ) .
« كتابا » تنبيه الغبى إلى تكفير ابن عربى ، تحذير العِباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد = مصرع التصوف / تأليف برهان الدين البقاعى ؛ تحقيق عبد الرحمن الوكيل . القاهرة : مط . السنة المحمدية ، ١٩٥٣ .
- السَّخاوى ، شمس الدين (ت ٩٠٢ هـ) . القَوْل المُنْبِى فى أخبار ابن عربى[٤] .
- السعودى ، عبد اللطيف بن على (ت ٧٣٦) .
بَيان حُكم مافى الفُصوص من الاعتقادات المَفْسُودة[٥] .
- القَسْطَلانى ، محمد بن أحمد بن على .
النصيحة الصريحة . – مخ – برلين ؛ ٢٨٤٩[٦] .
- الكَامِلى ، محمد بن عمر (ت ٦٥٢ هـ) .
« رسالة » فى ذم ابن عربى . – مخ – القاهرة : دار الكتب ؛ ٨١٦[٧] .

---

(١) فهرس الكُتبخَانة المصرية : جـ ٢ ، ص ١٢٨ .
(٢) عباس العزاوى . المصدر السابق : ص ١٤٧ .
(٣) عباس العزاوى . المصدر السابق : ص ١٤٦ .
(٤) عباس العزاوى . المصدر السابق : ص ١٤٧ .
(٥) ابن الأهدل . كشف الغِطاء (مقدمة النَشْر) : ص ١٤ .
(٦) ابن الأهدل . المصدر نفسه : (مقدمة النَشْر) : ص ١٤ .
(٧) ابن الأهدل . المصدر السابق : (مقدمة النَشْر) : ص ١٤ .

– الواسطي ، عماد الدين أحمد .
أشِعَّةُ النُّصوص[1] .

خامسًا : الأسس الإبداعية :

تَجَاورت الصنعة الفنية والرؤيا الإلهامية فى فَلَك الفتوحات المكية ، وكَأنَّ صاحبها قد قام على الوَصْل الحِوارى بين شَطْرَى يَمِّه المذهبى فى بَرَّانيته وجوانيته ، وعلى الأعراف البرزخية بين عِلْمَىَّ النظر والأسرار ، قام علمُ الأحوال فى ذَوْقِه ووجدانيته . وقد التقى عند مَاءٍ تحققه فيضُ الروح الإلهامى بعينِ البصَر النقدى .

وهذا الوجود العَطْفى بين الأثر فى ظُهوره والسِّر فى كُمونه ، يتلازمان ولا يفترقان ، وإنْ جَلَّ أمرُ الهيكل وصفًا لِذَاتِه من كَدُوَرته .

١ – الطبيعة التصنيفية :

(أ) دوافعهـا :

يصور الجاحظ عِلَّةَ التأليف وأثرها فى حفظ تراث العقل وآثار الوجدان ، وارتقاء المعرفة بهما ، فيقول : « إنَّ لكُلِّ شيءٍ من العلم ، ونوع من الحكمة ، وصِنْفٍ من الأدب ، سَبَبًا يدعو إلى تأليف ما كان فيه مُشَتَّتًا ، ومعنىً يَحْدُو على جَمْع ما كان منه مُتفرقًا . ومتى أغْفَل حملةُ الأدب وأهلُ المعرفة تمييزَ الأخبار واستنباطَ الآثار ، وضَمَّ كُلِّ جَوْهرٍ نفيس إلى شِكْلِه ، وتأليفِ كُلِّ نادرٍ من الحكمة إلى مثله – بَطَلَتْ الحكمةُ وضَاعَ العِلْمُ ، وأمِيتَ الأدبُ ، ودَرَس مستورُ كُلِّ نادرٍ .

ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدَّهر ، ونَقْرِهم آثار الأوائل فى الصَّخْر ، لبَطَل أوَّلُ العِلْم وضَاعَ آخِرُه »[2] .

هذه المقولة الجاحظية هى دستور العلماء ، ومنهاج البلغاء ، لا يحِيد عن تَمثُّلها من رَغِبَ فى وصل الخَلفِ بِسلفه ، ليرى فى « ألفاظ القدماء وإن تفاضَلتْ فإنها تَتَشَابه ، وبعضُها آخِذٌ برقاب بعض ، فيستَدِلُّونَ بما عَرفُوه منها على ما أنكروه ، ويَقِفُوْنَ على صَعْبِها بما ذَلَّلُوه »[3] .

هذه الرؤية التراثية تُشَكِّل منطقَ الإحاطة بأصناف العلوم القديمة والمُحدثة ، فى صِلَةٍ

---

(١) عباس العزاوى . المصدر السابق : ص ١٤٧ .
(٢) الجاحظ . رسالة الحنين إلى الأوطان (الرسائل) : جـ ٢ ، ص ٣٨٣ .
(٣) الصولى . أخبار أبى تمام : ص ١٤ .

عشقية لا تعرفُ الضِّدِّية ، وإنْ تَفَرَّدَ المُحدثون بـ « معَانٍ أَبْدَعَ ، وألفاظٍ أَقرَبَ ، وكلامٍ ارَقَّ ، وإنْ كان السَّبْقُ للأوائل بحقِّ الاختراع والابتداء ، والطَّبْع والاكتفاء »[1] .

هذا النظر النقدى للمعرفة الأدبية والفكرية ، يجعله ابن عربّى دافعًا له على تصنيف رسالته الجامعة ، ذلك « أن الحكيم إذا نأتْ به الدارُعن قَسِيمه ، وحالَتْ صروفُ الدهر بينه وبين حَمِيمه ، لابُدَّ أن يعُرِّفَه بكلِ ما اكتسبَه فى غَيْبَته ، وما حَصَّله ، من الأمتعة الحِكْمِيَّة فى عَيْبَتِه . وهذا ليُسَرَّ وَلِيُّه بما أسداه البَرُّ الرحيمُ من لَطِائفةً ، ومنَحَهُ من عَوارِفه ، وأودَعه من حِكَمِه وأَسْمَعه من كَلِمه . فكأن وَلِيَّه ما غَابَ عنه بما عَرَفَ منه »[2] .

وهذه الرسالة اليتيمة حَاوِيَةٌ لفنون من المعارف المحَصَّلَة ، وجواهر من العلوم المُحقَّقة ، وقد « أوحَدَها الحقُّ لأعراض الجَهْل تَمِيمَةً ، ولكلِّ صاحبٍ صَفِيٌّ ، ومُحِقٍّ صُوفى »[3] .

وحين يُشير إلى وفاء السالك والمريد لعلوم شيخه ومعارفه ، يُخاطب « عبد العزيز المَهْدَوى » بقوله : « ولم أَزَلْ بعد مُفَارقتى حضرة الولىِّ .. له ذَاكِرًا ، لأحوالِه شَاكرًا ، وبمناقبه نَاطِقًا ، ولآدابه عاشقًا ، وربما سَطَّرْتُ من ذلك فى الكتب ماسَارَتْ به الركبان وشُهِرَ فى بعض البلدان »[4] .

وأما عَنَاءُ التجربة الإبداعية فلا يُدرك المرءُ أسرارَه إلاّ إذا عرفَ شرفَ الغاية ، فسهُلَت عليه شدائدُ البداية . « ولاسيما إنْ ذَاقَ من ذلك عُذُوبَةَ الجَنى ، ووقعَ منه بموقع المَنِىْ . فإذا حَصَرَ البابُ البصرَ ، تَرَدَّدَ عينُ بصيرةِ الحكيم فنظَرَ ، فاستخرجَ اللآلىءَ والدُّرَرَ – ويُعطيه البَابُ ، عند ذلك ، ما فيه من حَكِمٍ روحانية ، ونُكَتٍ ربانية ، على قَدْرِ نفوذِه وفَهمِه ، وقوةِ عزمِه وَهمِّه ، واتِّسَاع نَفَسِه ، من أجْلِ غَطْسِه فى أعماق بِحار علمه »[5] .

(ب) خصائصها :

١ – الخصائص المَنْهجية :

(أ) المنطق البنائى :

تبدو أحكام النظر العقلى فى صنعة « ابن عربى » الفنية قائمةً ، حين يُميز فى رسالته الفتحية بين الأُصول والفروع والفصول والأبواب والأسفار والأجزاء ، ويضع لكل قضيةٍ حَمْلَها ، ولكلِّ لفظٍ معنىً يُشير إليه ؛ وهو فى هذا يَعرف صلةَ العِلَّةِ بمعلولها ، والعقلِ بمعقُولِه ، فكيف

---

(١) الصولى . المصدر السابق : ص ١٦ .
(٢) ابى عربى . الفتوحات : س ١ ، ص ٦٨ – ٦٩ .
(٣) ابن عربى . المصدر نفسه : س ١ ، ص ٧٢ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٧١ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : ص ٧٣ .

« يَعرفُ السَّبَبَ من يَجْهَلُ المُسَبَّب ، وكيف يعرفُ الوصل من يَجْهل الفَصْل ، وكيف يعرف الحدود من لم يَسْمعَ الفصول »[1] .

فالشيخ يدرك أسرار صنعته ، ويقطن إلى وَصْلِ فنونها ، وفَصْل حُدودها .

وهذه القسمة المنطقية تَسِمُ التصانيف الصوفية ؛ « فالغزالى » يضع لإحياء علومه نَسقًا تربيعيًا ، ينبثق عن كل منها عشرة أبواب .

(ب) الفهرست الموضوعى ودلالته :

ومن أبرز البواكير التأليفية فى تراثنا الإسلامى التى طُبِعَت على ذكر فهرستٍ لها ؛ ماصنعه محمد بن إسحاق النديم حين استهل فهرست علومه بذكر أصنافها ومقالاتها . ويَأتى نفر من مُصنفى الصوفية بلتزمون ذلك ، حتى يَطلع عصر صاحب الفتوحات ، فيُسطر لها هذا الأنموذج البيانى ، حَاوِيًا لفنونها ومعارفها ، وهو يصفه فى قوله : « فلنُقَدِّم . قبل الشروع فى الكلام على أبواب هذا الكتاب ، بَابًا فى فهرست أبوابه ؛ ثم أتلوه بمقدمه فى تمهيد ما يتضمنه هذا الكتاب من العلوم الإلهية الأسْرارية . على أثَرِها ، يكون الكلام على الأبواب ، على حسب ترتيبها فى باب الفهرست »[2] وهذا الباب « ليس مَعْدُودًا فى الأبواب ، وهو على ستة فصول »[3] .

وهذه السُّنة البيانية لا تغيب عنه حين سَطَّر « رسالة » التصانيف » ، مثلما التزم الإسفار عنها فى « التنزّلات الموصلية »[4] ، و« التدبيرات الإلهية »[5] .

وهو يُخبرنا فى « التَّدبيرات » بما قَيَّدَ به مَنْهَجه وحَدَّ به صُورَته ؛ فجميع أبواب هذا الكتاب يذكرها على ما هى عليه فى الفهْرست »[6] .

ومثل هذا النظر لا يصدر إلاَّ عن طبيعة عَقلِيّة تملك أزِمَّة فِكْرها ، ونورَ هَدايتها ، ليُقْتَفى أثره عند طائفةٍ من أرباب الصناعة الكلامية كالقلقشندى والنُّويرى .

(جـ) الشواهد المصدرية :

ومن السمات النقدية التى عرفتها الشخصية الإسلامية فى فكرها وتنظيرها ، ذِكرُها

---

(١) الجاحظ . التربيع والتدوير (الرسائل) : جـ٣ ، ص ٥٥ .
(٢) ابن عربى . الفتوحات : س ١ ، ص ٧٤ .
(٣) ابن عربى . المصدر نفسه : س ١ ، ص ٧٥ .
(٤) ابن عربى . التنزلات المَوْصلية : ص ١٠٢ – ١١٢ .
(٥) ابن عربى . التدبيرات التدابير الإلهية : ص ١١٨ – ١٢٠ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : ص ١٢٠ .

لمصادر معرفتها فى التراث العربى والحضارى [1] ، كتأسيس لوثاقةِ نَهْجها ، وإظْهارٍ لفضلِ أصحابها .

وصاحبنا فى فتحه المكى شغِل بإشاراته المصدرية ، وشواهدها الذاتية والتراثية . فهو عاكفٌ على تسطير أصول مذهبه وجواهر فكره ، فى طور تمامية شخصيته ، وتَوَحُّد معرفته .

وهو يُطَالعنا بمصادر لا يبلغها الاستقصاء ولا يأتيها الاستقراء ، فى علوم شتى ، بالرواية تارةً وبالنقل تارة أُخرى . وهذه الآثار الغَمرة لا تجعله يَضَلُّ طريقه طريقَه فى غمرات الاكتفاء بها ، والطَّوَاف بسِيرِ أربابها ، بل اتخذها زَيْتًا لسراج بَيانه ، وتوقُّدِ ذهن إبداعه . وقد يَعرض لنقد مناهج واضِعيها ، وتقويم ما ألمحُوا إليه وسَطَّروه . فهو يقف من مصادره موقفَ حكيمٍ ثَقَّفَ صنعته ، وصَيَّرَ فىَّ خَبُرَ أمْر مَعْدِنه .

(د) الإشارات الوَضْعية :

تتوافر الإشارات الإيمائية بوضْعية نص الفتوحات وتأليفه .. وصاحبه لا يَملُّ ذلك كدلالةٍ على قيامه بأمر الظاهر وفطِرة الشريعة .

ومن أمارات ذلك ما يدل على التأليف والإنشاء ؛ فنراه حين يُشْهد الخَلْقَ على مذهبه العَقَدى والقَوْلى ، يقول : « أشْهَدَكم عبدٌ ضَعيفٌ .. وهو مُؤلِّف هذا الكتاب ومُنْشِئه[2] وحين يُتم تسفير كتابه يقول : « انتهى الباب – بحمد الله – بانتهاء الكتاب على ما أمكَنَ ما يكون من الإيجاز والاختصار ؛ على يَدِ مُنْشِئِه . وهو النُّسخة الثانية من الكتاب ، بخط يَدِى »[3] .

ومنها ما يتصل بإيجازِه واقتضابه ، كما هو الحال فى « الباب التاسع والخمسين وخمسمائة – وهو جامع لأسرار فتوحاته – حين يقول : ضمنتُ هذا الباب جميع ما يتعلق بأبواب هذا الكتاب ، مما لابُدَّ من التنبيه عليه »[4] .

ومنها ما يَمس مقولاته عن الإضافة والحَذْف والزيادة ، وهى تتحقق فى قوله : « وقد انتهت « مقدمة الكتاب » . وهى عليه كالعِلاَوة ، فمن شاء كتَبها فيه ، ومن شاء تركها »[5] ،

---

(١) روزنتال . مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى : ص ١١٣ – ١٢١ .
(٢) ابن عربى . الفتوحات : س ١ ؛ ص ١٦٣ .
(٣) ابن عربى . المصدر نفسه مج ٤ ؛ ص ٥٥٣ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٤ ؛ ص ٣٢٧ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ؛ ص ٢١٣ – ٢١٤ .

وفى صفة النسخة الثانية يقول : « هذه النسخة سبعة وثلاثون مجلدًا ، وفيها زيادات على النسخة الأُولى »[1]

ومثل هذه المقولات وغيرها ، لاشك فى تصويرها لصلة الرجل بصنعة ما ألَفَّه ، وتهذيب مادَوَّنَه .

٢ – الخصائص الموضوعية :

(أ) وحدة الوجود الإبداعى :

جمع « ابن عربى » بين طرفى الإبداع الشعرى والنثرى في فتُوحه ، وهو مدرك لأسرار هذا التوَّحد الفنى فى روح وجُودِه وطقوس جَماله ؛ ويَعِزُّ من جَمَع بينهما فى تراثنا العربى[2] فقد مَلَكَ طَبْعُه زمامَ اختياره ، « فجَذَبه إلى ما يَسْتَلذه ويهواه ، وصرَفَه عما يَنْفرُه منه ولا يرضاه »[3] .

والحاتمى جَعل من الاستهلال الشعرى لأبواب فتوحاته سُنَّةً ألزمَ نفسه بها ، ويُخَيلُ إلى الناظر فى هذا الضَّرب الشعرى ، أنه جَمْعٌ لمعانٍ سيرى تفصيلها النثرى ، وهذا الأمر مما أَلِفتَهْ مناهج المُصنفين فى الاستدلال أو الجمع الشعرى ، يَخْرجُ عن دائرة نظره النقدى ، الذى أفصح عن أسراره الإبداعية والوجودية فى قوله « ليس المقصود منها إجْمَالَ ما يأتى مَفَصَّلاً فى نَثْر الباب والكلام عليه ، بل الشعرُ فى نفسه من جُمْلَة شرح ذلك الباب ، فلا يتكرر فى الكلام الذى يأتى بعد الشعر . فَلْيُنْظَرُ الشِّعر فى شَرحْ الباب كما يُنظر النثر من الكلام عليه ؛ ففى الشعر من مسائل ذلك الباب ، ما ليس فى الكلام عليه بطريق النثر . وهى مسائل مفردات تَستقل كُلُّ مسألة فى الغالبِ بنفسها ، إلاَّ أن يكون بين المسألتين رَابطٌ ، فَيَطْلبُ بعضها بعضًا »[4] .

هذه الوحدة الإبداعية يَفْقَه صاحبنا أنساقها البنائية فى إحكام صنعته وأحكام اختياره ، وهو يَطْلُبها من خلال مرآة وجودية تُشِعُّ فيها الجَواهر على الأعراض ، ويَفيضُ ماءُ القُدْس على الهَيكل فيطهِّره ، ويلتقى فيها الروح بالبدن واللفظ بالمعنى واللاهوت بالناسوت ؛ فما فى « الوجود شيْءٌ أصلاً لا يكون بينه وبين شيءٍ آخر ارتباطٌ أصلاً ، حتى بين الرَّب والمربوب ، فإنَّ المخلوقَ يَطَلبُ الخَالق ، والخَالق يطلبُ المخلوق .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٤ ؛ ص ٥٥٤ .
(٢) المرزوقى . شرح ديوان الحماسة : ق ١ ، ص ١٦ – ٢٠
(٣) المرزوقى . المصدر نفسه : ق ١ ، ص ٤ .
(٤) ابن عربى . الفتوحات : مج ٢ ، ص ٦٦٥ .

ولذا كان العَلْمُ من العَالم على صورة المعلوم ، وخرج المعلوُم على صورة العِلْم ، وإنْ لم يكن كذلك ، فمن أينَ يقع التعليق ؟ فلا تصَحُّ المُنافَرة من جميع الوجوه أَصْلاً ، فلابُدَّ أنْ تتداخل المسائل للارتباط الذاتى ، الذى فى الوجود بين الأشياء كلِّها »[1] .

هذه الصلة العشقية بين الفنون الإبداعية فى تَوحُّد عُراها ، واتساق سُدَاها ، يوفيها الجيلى « حَقَّها فى شرح مشكلاته ، وهو عَلِيمٌ بنهج شيخه التوحيدى ، عَارِفٌ لحدوده فى البيان والتأويل [2] .

(ب) البلاغة البنائية :

وإذا كان الجاحظ قد حَدَّ البلاغة فى « إصابة المعنى ، والقَصْدِ إلى الحُجَّة مع الإيجاز ، ومعرفة الفَصْل من الوصل »[3] فإن هذا المنطق الجاحظى يتخذ من دعائم الفِكر الكلامى ميثاقًا له ، وبرهانًا لحُجته .

هذه الأُصول الحَدِّيَة الثلاثة لا تغرب عن عين صاحب الفتوحات فى صنعته الكلامية . فهو يقع على المعنى ويُصيب كَبدَ فصوصه ، ومن دلائل ذلك ما يشير إليه فى تبيان « حضرة الحضرات الجامعة للأسماء الحسنى » بقوله : « فهذا بعض ما أَعطَتْه حضرةُ الحضَرات من هذا الباب ، فإنه باب الأسماء . وأمل الكِنَايات : فنقولُ فيها لَفْظًا جامعًا ، وهو إذا جاء فى كلام الرسول عن الله تعالى ، أو فى كتاب الله . فلننظر فيها القِصَّة والضَّمير ، ونحكم على تلك الكناية ، بما يُعطيه الحال فى القصة المذكورة ، لا يُزاد فى ذلك ولا يُنْقَصُ منه : والبابُ يتّسع المجال فيه ، فلنقتَصِر منه على ما ذكرنا »[4] .

أما الإيجاز والاقتضاب ، والفصل والوصل ، فتتحقق فى إشاراته الإحالية التى تَسِمُ تصَانيفه . ومنها الإشارة إلى باب المعرفة لتفصيل ما اقتضَبه من المسائل الحَقِّية السبع ، فى قوله : « وذكرنا هذه المسائل فى « باب المعرفة » ، من هذا الكتاب ، فلتنُظَر هناك »[5] .

ومنها الإحالة إلى مواطن حُجَّته فى ذكر مراتب الحروف وخَصائصها ، كما فى قوله : « ولولا التطويل لبَيَّنا منازلها وحقائقها . ولكن سنُلْقِى من ذلك ما يَشْفى ، فى « الباب الستين » من أبواب هذا الكتاب »[6] .

---

(١) ابن عربى المصدر السابق : مج ٢ ، ص ٦٦٥ .
(٢) الجيلى . شرح مشكلات الفتوحات : رفاعة ، ١٧/ تصوف ، ٣ أ .
(٣) الجاحظ . البلاغة والإيجاز (الرسائل) : جـ ٤ ، ص ١٥١ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : مج ٤ ، ص ٣٢٦ .
(٥) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ١٥٣ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٢٣٥ .

وفى حكمة التجلى النورى والإشراق الشهودى ، تُؤلِّفُ الإشارةُ الإحالية واسطةَ العِقْد النظيم لها ، فى قوله : « وقد تقدم طَرَفٌ منه فى الباب الأول من هذا الكتاب »[1] .

فالرجل يُناسب بين مَقاله ومقتضى حاله ، ويَلزم حدود الصَّنعة اللفظية لزومه فى صَيْد فرائد المعانى وتَتِيمها .

الطَّبيعة الإلهامية :

(أ) ينابيعها الإشراقية :

١ – النور المحمدى :

وصاحبنا يرث علم إلهامه وراثةً نبوية محمدية ، تنأى عن الهَوى فيرى بنور هدايته وسراج روح قدُسه . فقد نُصِبَ لخ مِنبرِ الولاية ، فى ذلك المشهد النبوى الأَخْطَر . « وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر : « هذا هو المقام المحمدى الأَطْهَر ، من رَقِىَ فيه فقد ورِثَهَ ، وأرسله الحق حافظًا لحُرمة الشريعة وبَعثَه »[2] .

وفى هذا المقام الأسنى وُهِبَ الحكمة الإلهامية وفصل الخطاب الحقَّىِّ . وفيه يقول « ووهِبْتُ فى ذلك الوقت ، مواهبَ الحِكَم ، حتى كأنى أوتيتُ جوامع الكَلِم »[3] وقد أيِّدَ « بِرُوح القُدُس »[4] .

فالشيخ يرى من فيض نور صاحب الرسالة ، ومن حَضْرة القرآن وخزائنه ، فلا يَنسُبُ لنفسه إلا التَّلقى الإلهامى .

٢ – المعراج الصوفى :

والصوفى يتحقق أسراره الإسرائية والمعراجية فى سفر سلوكه ومعارج روحه . فقد كان « لأبى يزيد » و« القشيرى » و ابن عربى » وغيرهم هذه الرؤى الإلهامية وعنها صَدَرتْ مقولاتهم الذوقية وتصانيفهم النورية .

أما الشيخ الأكبر فى فتوحه المكية ، فقد شَهِدَ سِرَّ العَالَم والمبعوث ، ورأى فى معراجه عَنقاء ولايته ،وأحكام التَّغير والصيرورة الوجودية . ويصور لنا هذا المشهد العَلِىِّ للبعث الروحى وفناء المعالم الكونية فى قوله : « وتَحِلُّ بِنَا .. حالةُ فناءٍ ، بين نَوْمٍ وسِنَةٍ . فننتَقِلُ إلى البرزخ

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ص ٣٣٢ .
(٢) ابن عربى المصدر السابق : س ١ ، ص ٤٥ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٤٥ .
(٤) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٤٦ .

الجامع للطرائق ، وتَغْلُب فيه الحقائق الطَّيَّارَة على جميع الحقائق . فترجع الدولةُ للأرواح ، وخليفتها فى ذَلك الوقت طائرٌ له ستمائة جناح . وترى الأشباح فى حُكْم التَّبَع للأرواح ، فيتحول الإنسان فى أى صورةٍ شاء ، لحقيقةٍ صَحَّتْ له عند البعث من القبور فى الإنشاء . وذلك موقف على « سَوْقِ الجنَّة » سَوْقُ اللَّطائف والمِنَّة »[1] .

وهذه المرآة الرؤيوية تَحمل غلبة الأسرار الباطنية فى مذهب الشيخ على ظاهره . فهو قد عاينَ سفر التكوين الكونى فى شهوده العرفانى ، وخَبُرَ حقائق النبوة فى معراجه النورى . نيشهد الحقيقة الآدمية » فى الزُّمُرُّدَة البيضاء ، قد أودَعها الرحمن فى أوَّل الآباء ، والحقيقة الإبراهيمية فى « النور المبين » وهو الأب الثانى » الذى سمانا مسلمين . والحقيقة العيسوية فى « اللُّجَيْن الأَخْلص » ، ومن اصْطُفِيَ لها أبْرأ الأكمهَ والأبرصَ بإذن الله . والحقيقة الجمالية اليوسفية فى « جَمالِ حُمرةِ يَاقُوتَهِ النَّفْس » ، ومن اجْتُبِيَ لَها بِيَع بثمنٍ بَخْس » . والحقيقة المارونية فى « حُمرةِ الإبريز » ووزيرها « الخليفة العزيز » . والحقيقة المُوسوية فى « ور الياقوتة الصفراء فى الظلام ، ورسولها هو مَنْ « فُضِّلَ بالكلام »[2] .

وهذه الحقائق النبوية عرفَها ابن عربى فى أخص خصائصها ، وَحَمَّلَ رمزيته النورية روح مشاهدته ، لتكون مشاربَ روحية له . وهو يعكف على تأويل رؤياه فى فُصوص حِكَمه .

وحين تم له ذلك فى معراجه ، ورأى من صُور الغَيْب ما رأى ، يُفصح عما يُكنه من أسرار الإرث النَّبوى ، وهو غَاية معراجه ، وصفاء صور الوجود فى قَلْبِه . « فمَنْ سَعَى إلى هذه الأنوار ، حتى وصلَ إلى ما يكشفه طريقها من الأسرار ، فقد عَرفَ المرتبة التى لها وُجَد ، وصَحَّ له المقامُ الأَلَى ولَهُ سُجِد . فهو الرَّبُّ والمربوبُ ، والمِحُبُّ والمحبوب »[3] .

وهذا البرهان الكَشْفى فى منطقة الصوفى ، يجعله يُظْهر ما أُلقى إليه فى رُؤْيا عروجه ، فيصور عزيزَ إلهامه ، وغريبَ حِكَمِه ، ويبثُه خَاصَّتَه . وإلى هذه الدائرة الإلهامية نراه يقول : « ثم أظهرتُ أسرارًا ، وقصصتُ أخبارًا ، لا يسعُ الوقتُ إيرادَها ، ولا يعرفُ أكثرُ الخلقِ إيحادَها . فتركتُها موقُوفَةً على رَأس مَهِيعها ، خَوْفًا من وضع الحِكمة فى غير موضِعها .

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٥٦ .
(٢) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٥٧ .
(٣) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ٥٧ .

ثم رُدِدْتُ من ذلك المشهد النَّومى العَلِيِّ ، إلى العَالَم السُّفلى . فجعلتُ ذلك الحمدَ المقدَّس خطبة الكتاب ، أخذتُ فى تتميم صَدْره . ثم أشرعُ بعد ذلك فى الكلام على ترتيب الأبواب »[1] .

والشيخ فى إشاراته الإلهامية وتنبيهاته الإشراقية لا ينقُضُ عُرَى مذهبه الفكرى فى الجمع بين علم الظاهر وعلم الأسرار ، وإن استودع كُلاً منهما حَمْلَه ، فجمع فى شَهَادته ما يُظهِره ونثَر فى أسفاره ما يُبطنه ، وتَلقَّى عن مَلَكَ الإلهام جُلَّ فتُوحِه ، وألقى بالآخر ديوانَ صنعته . فما الروح الإلهامى إلاّ هذه البروق اللامعة فى سماء الكون الإبداعى ، يتردد أثره بين الحضور والغيبة ، ولا يَحُدُّه نَظَرٌ ، ولا يَقْتَرب من عالم حُجُبِه إلاّ نُجومُ لَيْلِه ، وسدَنهُ معبَدِه »[2] .

(ب) سماتها الذاتية والإشراقية :

١ – السمات الذاتية :

ومن الظواهر الإلهامية التى يُقَيِّدُها يراع هذه الشخصية الإبداعية ، ما يُشير إلى ميقات صاحبها الغَيْثى ، أو فتوح الوقت عنده ، وهو يترقب طلوعَ فجره ، وتَحَقُّقَ أمره ، فيرصدُ آنية إسفاره . ويقوم ليلة إلهامه . فقد صار خَاطِرُه « غير مصروفٍ لِمَا كان فى الزمان الماضى ، حَذَرًا من فَوْت الوقت[3] وهو يضع بِشارةً لزمن فيضه ، فى صحائف « أنوار الفجر » ، وقد عَهِدَ نفسه ألاَّ يقيد « منه حَرْفًا إلا فى وقت الفجر ، إلى أن يكاد يبدو حاجبُ الشمس »[4] .

ومنها ما يُجَلِّى السرّ المكانى وتعبقره ، ويُظهر أعراق صلته بالفتح الربانى[5] ، وهذا ما شَهده فتحه المكى .[6] .

ومنها ما أبصره فى طبيعة العطاء الإلهامى وماعاينه فى تدوينه له ، وقد فتحَ الحَقُّ عليه من علوم غيبه اللَّدُنية ، من غيرِ نَظَرٍ ولانَصَبٍ .[7] ويبدو ذلك فى تدوينه لـ « مفتاح أقفال الإلهام الوحيد » ، الذى يصف حال وَضْعِه فى قوله : « أمرنى الحق تعالى بشرحها فى النوم بساحل

---

(١) ابن عربى . المصدر السابق : س ١ ، ص ٥٨ .
(٢) مصطفى سويف . الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصةً : ص ١٩٠ – ١٩٩ .
(٣) ابن عربى . رسالة التصانيف (عنوان الدراية) : ص ١٦٦ .
(٤) ابن عربى . المصدر نفسه : ص ١٦٧ .
(٥) ابن عربى . الفتوحات : س ١١ ، ص ١٣٥ .
(٦) ابن عربى . المصدر نفسه : س ١ ، ص ٧٢ – ٧٣ ، س ١١ ، ص ١٣٥ ، ٢١٠ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : س ٥ ، ص ١٠٥ .

سيته « ببلاد المغرب ، فقمتُ مبادرًا قبيل الفجر ، وكان لى ناسِخَان فأمليتُ عليهما وكتبًا ، فما طَلعت الشمس حتى تُقيِّدَ منه كراستان »[1] .

أما حال فتوحاته فقد « كان يكتبُ كُلَّ يوم ثلاث كراريس حيث كان [2] .

« وهكذا يمضى ابن عربى » فى دعواه أنه مؤلَّفٌ مُلْهَم ، وأن ما خطَّه فى كثير من كتبه إنما هو إملاء إلهى ، وصل إليه أحيانًا أثناء اليقظة وأحيانًا أثناء النوم ، وأونَةً فى حالة بين النوم واليقظة »[3] .

٢ – السمات الإشراقية :

أظهر الشيخ شطرًا من عناء تجربته الإبداعية ، وكشف عن جَذْوَة جوانيته الإلهامية ، ووصف ما كان يَرِدُ عليه من موارد حَقِّية تكاد تُحرِّقه ، فيتَشَاغَل عنها بتقييد ما يُمكن منها ، « فخرجَتْ مخرج التأليف لا من حيث القَصْد »[4]. ويَخْتَصُّ هذه الطبيعةَ الفوقية بالتصنيف حولها ، فيضع كتابه « الإعلام بإشارات أهل الإلهام » ، ثم يشرح مُشْكِلَه فى « الإفهام فى شرح الإعلام »[5] .

وحين يقترب من حِمَى مذهبه ، يأوى إلى تقيته وستره ، ويُضمرُ علمَ أسراره ، ويطوى سجل أحداقه وأغواره .

فهو يضع من التآليف فى حَقِّ نفسه ، لا يبوح بما حَوتْه صحائفه [6] ، وكذَا دِمَاءُ البَائِحينَ تُباحُ – مثلما يقوم على تحبير أسفار له بأمرٍ إلهى ، لا يَطَّلِع عليها أحدٌ ، لانتظاره فَصْل الحَقِّ فى شأنها [7] .

وهذه التقية المذهبية تُمثل حجابًا لنَشْر كشفه ، وستِرًا يُظِلُّ به غَيْبَ معرفته . وهذا ما يُدركه فى سر التوحد الوجودى بين الحقائق المفردة والمركبة ، وإليه الإشارة فى قوله : « فهنا سِرٌّ عَجبٌ وَمرْكَبٌ صَعْبٌ ، يحرم كشفه لأنه لا يُطاق حَمْلُه ، لأن العقل لا يعقله ، ولكن الكشف يكشفه .

---

(١) ابن ع بى . رسالة التصانيف (عنوان الدراية) : ص ١٦٧ .
(٢) ا الطيب : جـ ١ ، ص ٤٠٦ .
(٣) أبو العلا عفيفى . الفتوحات المكية (تراث الإنسانية) : مج ١ ، ص ١٦١ .
(٤) ابن عربى . رسالة التصانيف (عنوان الدراية) : ص ١٦٣ .
(٥) ابن عربى . المصدر نفسه :ص ١٦٦ .
(٦) ابن عربى . المصدر السابق : ص ١٦٧ .
(٧) ابن عربى . المصدر السابق : ص ١٦٩ .

فلنَسْكُت عنه ، وربما نُشير إليه من بعيدٍ فى مواضع من كتابى هذا ، يتفطن إليه الباحث اللَّبيب »[1] .

فهو يتردد بين قهر تجربته الذَّاتية وأصفاد خِبْرته الغَيْرية ، وقد لَقِى فى سبيل ذلك عَنَتًا ، وعُرفَ من خوارج عصره عند أهل الرسوم من الفقهاء والمتكلمين ، ورُمِى بالتفكير والزندقة ؛ فَهَيْهاتَ لمكنونِ سرِّه أَنْ يُكْشَف !

(١) ابن عربى . الفتوحات : س ١ ؛ ص ٢٤٨ .

obeikandl.com